رواية بخور عدني لعلي المقري

مقاربة سيميائية

إعداد:

أ.م.د/ عادل صالح حسن نعمان القباطي

أستاذ النقد الأدبي المشارك

كلية الآداب- جامعة الحديدة

الملخص

تناول هذا البحث رواية بخور عدني للروائي علي المقري في مقاربة سيميائية ترصد التحولات التي شهدتها مدينة عدن في فترة الاستعمار إلى الثورة والتحرير.

وقد تناول البحث العلامات السيميائية المتعلقة بالشخصيات والمكان والسياق الثقافي. واستهدف البحث الكشف عن أهم العلامات السيميائية في الرواية وربطها بالسياق الثقافي والتحول الحضاري الذي شهدته مدينة عدن.

وقد خلص البحث الى مجموعة من النتائج منها: إظهار الرواية التنوع الثقافي والإنساني لعدن، فأصبحت وطنا لمن لا وطن له، وكان العدني كل من عاش في عدن بغض النظر عن دينه وهويته.

الكلمات المفتاحية: عدن، بخور عدني، علي المقري، الرواية، السيميائية.

Summary
This research deals with the novel Aden Incense by the novelist Ali Al-Muqri, using a semiotic approach. The research deals with the city of Aden before independence from British rule, and how Aden before independence was a sign of peace, love, and acceptance of others, and how this situation changed to replace it with war, hatred, murder, and devastation. The research adopts the semiotic approach, He covers the place: Aden, its small cities, its neighbourhoods, its streets, its shops and what is sold in it, its mosques, its temples, its churches, its cafes, its casinos, its cinemas. Then it moves on to study the characters in the novel, and divides them into main characters such as: Michelle, Mama, and secondary characters such as: the Jewish candle, Qabwa, and uncle. Shimon, Hey Hitler, Sheikh Abdul-Jabbar, Francisco, The Silent Woman, Halaha, Afoura, and then addresses the semiotics of dreams, the semiotics of culture, and the various rituals that are practiced, concluding with proverbs.

المقدمة

يتناول هذا البحث مقاربة سيميائية لرواية بخور عدني للروائي علي المقري، حيث تحكي الرواية وضع عدن قبل الثورة، وكيف كانت علامة للسلام والمحبة والتعايش بين مختلف الاتجاهات والمذاهب والأديان وتقبل الآخر، إذ كانت أمًا للجميع تحتوي كل من يسكنها ليصبح عدنيًا، وكيف تغير هذا الوضع لتحل بدلًا عن ذلك الحرب والكراهية والقتل والدمار.

وقد اعتمد البحث بشكل أساس المنهج السيميائي؛ لما له من قدرة على الكشف عن علاقات النص الداخلية مع سياقاتها الخارجية، ولما لهذا المنهج من قدرة على تأويل إشارات النص اللغوية، ورصد معانيه، وتحديد بؤره.

استهدف البحث معرفة سيميائية الأمكنة في الرواية، وشخصياتها ودلالاتها المختلفة. فالمكان، وهو مدينة عدن ومدنها الصغيرة وأحيائها وشوارعها والمحلات التجارية، وما يباع فيها، ومساجدها ومعابدها وكنائسها والمقاهي والكازينوهات، وما تحتويه من سهرات غنائية وثقافية، وما يدور فيها من نقاشات ثقافية وسياسية، فيناقشون من هو العدني؟ حيث يعرض الجميع آراءهم، لتقول ماما (عدن) رأيها في أن العدني كل من سكن عدن أو مرَّ بها.

والشخصيات في الرواية قسمان:

- شخصيات رئيسة مثل: ميشيل، ماما، إذ يمثل ميشيل الشخصية الرئيسة في الرواية، وهي علامة سيميائية للباحث عن وطن بديل يتحقق فيه السلام والمحبة والتعايش والقبول بالآخر، في حين تمثل ماما علامة سيميائية لعدن.
- وشخصيات ثانوية مثل: شمعة اليهودية، وقبوة، وعم شمعون، وهاي هتلر، والشيخ عبد الجبار، وفرانسيسكو، والمرأة الصامتة، وحلاها، وعفورة، وهي علامات للتعايش والمحبة والقبول بالآخر.

كما يشير البحث إلى توظيف الأحلام، فيتناول حلم ماما بزيارة ملكة بريطانيا إليزابيت الثانية لعدن، والحلم الأخر، إذ تحلم ماما بطائر ترافقه سكين كلما هوت التقطها بمنقاره حتى تنغرس في الأخير برقبته، كما يتطرق البحث للبيئة الثقافة التي تشمل الأزياء الشعبية والرقصات التي تصاحب الأغاني وأنواع هذه الرقصات، وكذا رقصة الزَّار التي تمارس لطرد الجن حين تتلبس ببعض الأجساد، والطقوس التي تمارس أثناء زيارة الأولياء، ليختتم البحث بالأمثال.

وقد توزع البحث على المباحث الآتية:

أولا: سيميائية المكان.

ثانيًا: سيمياء الشخصيات.

ثالثا: سيمياء الأحلام.

أولًا: سيميائية المكان:

يعد المكان أحد المكونات الأساسية لأي رواية، إذ لا يمكن تصور أي حدث دون مكان وزمان، فالحدث الروائي "لا يتم في الفراغ، بل لابد من مكان يقع فيه، كي يأخذ مصداقيته، وتتم عملية تبليغه بنوع من المصداقية إلى المتلقي"[1]ويعرف يوري لوتمان المكان بقوله" هو مجموعة من الأشياء المتجانسة من الظواهر أو الحالات أو الوظائف أو الأشكال المتغيرة...الخ، تقوم بينها علاقات شبيهة بالعلاقات المكانية المألوفة/ العادية مثل الاتصال، المسافة ..."[2]، والنظر إلى المكان من الوجهة السيميائية لا باعتباره" بقعًا جغرافية، ومباني مشيدة، وصروحًا قائمة، بل إنها تصبح علامات سيميائية تنطق بخطابات الإنسان، ودوافعه، وهواجسه الفكرية"[3].

وفي الرواية محل الدراسة تظهر أماكن متعددة في مدينة عدن، أبرزها مدينة عدن، وتتفرع الأمكنة فيها إلى مدنها الصغيرة، وشوارعها ومساجدها وكنائسها ،وموانئها ومقاهيها، وعلى النحو الآتي:

عــدن

يحتل المكان مساحة واسعة في رواية(بخور عدني)، إذ يكثر الروائي من ذكر الأمكنة، ذلك أن" تغيير الأحداث وتطورها يفترض تعددية الأمكنة واتساعها"[4]، فيوظف المدن الصغيرة في عدن وتفاصيلها، مثل: كريتر، التواهي، والمعلا، وخور مكسر، والشيخ عثمان، ودار سعد، وتكاد عدن تطغى بمدنها الصغيرة على الرواية، إذ تعد عدن وطن من لا وطن له، فهي تحتوي كل من يقصدها، إذ يشعر أنه صار عدنيًا بمجرد أن وضع قدميه عليها، بل هي البديل حتى عن الوطن، والبديل عن فكرة الوطن، عن الوطن كفكرة[5]، والوطن سيميائيًا هو "مجموعة من ذوات متباينة التفكير والتوجه تعمل معًا من أجل خلق وحدات داخلية تغذي النصوص، وتعمل على طرح معانيها من خلال برامج سردية مختلفة، فمهما تعددت الأمكنة فيها بوصفها حقولًا تلتحم داخلها الفواعل مع أفعالها، سيظل فضاء الوطن هو العنصر الحامي لها والمهيمن على مدارات السرد"[6] .

وهي قبلة لكل مظلوم ومضطهد من العالم، ووطن من لا وطن له، فالجد القديم (كيكي مروانجي) هرب من فارس إلى الهند خوفًا من التعصب، غير أن الخوف ظل يلاحقه فهرب إلى عدن [7]، و(سياد) لاجئ سياسي صومالي طردته السلطات البريطانية من السودان بسبب نشاطه السياسي[8]، وفيها

---

[1] البنية والدلالة في روايات إبراهيم نصر الله، مرشد أحمد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت – لبنان، ط1، 2005ص 127.

[2] مشكلة المكان الفني، يوري لوتمان، تقديم وترجمة: سيزا قاسم، مجلة: عيون المقالات، عدد8، أبريل 1987م، ص 69.

[3] الأنظمة السيميائية، دراسة في السرد العربي القديم، هيثم سرحان، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت – لبنان، ط1، 2008، ص71.

[4] بنية النص السردي (من وجهة النقد الأدبي)، حميد لحمداني، المركز الثقافي العربي، بيروت – لبنان، ط1، 1991ص 63.

[5] ينظر بخور عدني، علي المقري، دار الساقي، بيروت – لبنان، ط1، 2014م، ص 142.

[6] سيميائية الشخصية في روايات واسيني الأعرج " المخطوطة الشرقية، أصابع لوليتا، مملكة الفراشة أنموذجًا" أمينة أونيس، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة محمد خيضر – بسكرة، الجمهورية الجزائرية، 2018- 2019، ص101.

[7] ينظر بخور عدني، ص 118.

[8] نفسه، ص 63.

تجتمع الديانات والأفكار المختلفة الإسلامية واليهودية والمسيحية والنيروز والفرس والزرادشتية...[1]، لا تحس فيها بالغربة؛ إذ تصير عدنيًا بمجرد أن تطأ قدماك أرض عدن.

تجمع عدن المختلفين في المذاهب والأديان، وكذا الخصوم، فهي تحتضن الجميع، وهي علامة للسلام والتعايش والتآلف، يشترك فيها الجميع لتحقيق ذلك، فهذا (كيكي) يساهم ببناء مسجد للمسلمين ومعبد لليهود، ويقيم عيد النيروز سنويًا، و(ماما) تدفع بسعيد لمصافحة شمعون[2]، و الشيخ عبد الجبار يفرح بحضور ميشيل عرس ابنه أكثر من فرحته بالعرس[3]، والجميع يحضرون حفلًا واحدًا يغنون ويرقصون، فالخصام فيها ينتهي، إذ انتهى الخصام بين شمعة وهاي هتلر وتزوجا، وهذان الخصمان الهنديان: سومي أبو شنكر الهندوسي وصدِّيق المسلم يحضران حفل العرس مصفقين للأغاني، و(وليم) و(حلاها) يرقصان معًا، وهذا (خان) يشارك شمعة بأغان هندية، و(هاي هتلر) يغني اغنية فارسية ويشترك الاثنان مع شمعة بأغنية عربية تتخللها كلمات هندية وعبرية و(إيزانا) يضرب بالطبل، ويغنون بلغات مختلفة[4]، في حين (فرانس) من هولندا وهنري من أمريكا ينشغلان عن الحفل بأخبار الحرب ومصير هتلر واليابان[5]، وهما علامة سيميائية لكل من يشعل الحروب ولا يعيش إلا في ثناياها، ومقتاتًا من سعيرها.

يجتمع الجميع من مختلف الأديان والطوائف في عدن في عرس خسرو ابن كيكي مروانجي الذي أقامه في يوم النيروز عيد الفرس، حتى أن ميشيل قال" تبدو عدن كلها هنا الليلة" فتجيبه ماما" جميعهم يتذوقون، جميعهم يتفقون على الحلوى"[6]، واجتماعهم جميعًا وتذوقهم الحلوى علامة سيميائية على السلام وتقبل الآخر والتعايش بين مختلف الأديان والطوائف.

ويتحدث أيضًا عن المدن والسلطنات القريبة المجاورة لعدن كلحج، وهي سلطنة قريبة من عدن مشهورة بمزارعها الواسعة ومنتجاتها من الفواكه والفل والكاذي، وأزيائها ورقصاتها وغنائها وسلاطينها، إذ يلبسون فيها الملابس المضاءة بألوانها الفاتحة وخطوطها اللامعة والمحاكاة بأشكال فنية تتناغم مع طريقة لبسها[7].

الأحياء والشوارع

الحي: "اسم يشترك فيه المكان والإنسان في مفرده وجمعه معًا... وهو النواة الأولى للقرية والبلدة والمدينة، ويعتبر من أماكن الطفولة الأولى، مثله مثل رحم الأم والبيت الأول، ومثل هذه الأمكنة تتسم بالدفء والحنان والسلام والمحبة، ومن هنا تبقى عالقة في الذاكرة أطول مدة ممكنة؛ لأنها هي البدء، وهي أصول الأمكنة الأخرى"[8]، وفي هذه الرواية يصف الراوي كثيرًا من

---

[1] ينظر بخور عدني، ص 127.
[2] نفسه، ص 128، 129.
[3] نفسه ص 271.
[4] نفسه ص 130، 132.
[5] نفسه، ص 115.
[6] بخور عدني، ص 130.
[7] نفسه ص، 17
[8] جماليات المكان في الرواية العربية، شاكر النابلسي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 1994م، ص 50،51.

الأحياء الشعبية في عدن، فيذكر أحياءها (حافاتها)، ففي عدن يسمون الحي (حافة)، مثل: حي (حافة) صومالي بارا، والدَّنَاكِل، واليهود، والبُهرَة، وحسين، والزَّعْفَرَان، والعَيْدَرُوس، ويصف شوارعها المختلفة، وقد" احتل الشارع في الرواية العربية من قبل الروائيين الذين كتبوا روايات عن المدن العربية مكانًا بارزًا في الرواية العربية، وكانت له جمالياته المختلفة، باعتباره مسارًا أو شريانًا للمدينة"[1]،" والشارع صحراء المدينة، وجزؤها الزمني، وحياتها الدائبة المتحركة، ولولب بعدها الحضاري، لامتداده طاقة على مد الخيال، ولانعطافاته تحولات في الزمان والمكان، لسعته رؤية ريفية مدنية، ولضيقه رؤية المدن الصغيرة الوسطية، ولسانيه حرية الفعل وإمكانية التنقل، وسعة الاطلاع والتبدل، ولذا فعدم استقراره هو استقرار آخر"[2]، وقد ذكر الراوي أسماء هذه الشوارع وتفاصيلها وما تحويه من محلات ومطاعم ومقاهٍ وكازينوهات ومساجد وكنائس ومعابد يهودية وهندوسية ومدارس البانيان، والمنازل الصغيرة، ومن يسكنها واصفًا أشكال أكواخها الكثيرة المبنية من خشب وصفيح، وإن وجدت فيه بيوت فهي قليلة مبنية بحجارة بطريقة غير مرتبة مكونة من غرفة أو غرفتين وصالة مكشوفة واصفًا داخلها: فالسطح يؤدي إلى درج خشبية تقود إلى حمام فيه تنك فيه ماء بداخله بقايا علبة جبن أو سمن تسمى (مَغْرَفَة)، إضافة إلى قطعة صابون رمادية مختلطة بسمرة كلون بشرة ماما وضعت في شق الجدار، ويغطي باب الحمام ستارة قديمة خيطت من رقع قماش ملونة[3] .

ويوظف الراوي كل هذه التفاصيل للشوارع والأسواق في روايته، ذلك أن الأسواق تمثل" مكان اكتظاظ الناس إما لشراء الملابس والإكسسوارات أو الأطعمة بكافة أنواعها، فمثل هذا الأسواق رقي للمدينة، فهي تعتبر من الأحياء المكانية التي تعكس تطور البلد ورقيها، ففيها يجتمع البشر على اختلاف فئاتهم ومستوياتهم، إضافة على أنها تساعد في تجميع الأفكار كي تكون مصدرًا لبث الوعي عند الشعوب في بعض الأحيان"[4]، ويربطها بالواقع الاجتماعي والسياسي والثقافي والفني، وكيف أن عدن بتفاصيلها الصغيرة والكبيرة احتوت الجميع، وصارت أمًا لهم.

فدكان عم شمعون الشهير بدكان اليهودي يقع في شارع الزعفران الذي تفصله ساحة عن شارع الطويل، ويمتد الزعفران من الجهة الشرقية إلى الطريق المؤدية إلى العيدروس، ويصف الشوارع كشارع حسن علي والملك سليمان، وشارع المُلَّا، وشارع السبيل واصفًا الممرات الضيقة، وحي اليهود، الذي يضم بجانب بيوت اليهود بيوت المسلمين والبانيان والزرادشتيين وقد جاورت بيوت اليهود بنفس الحي، ومسجد العسقلاني بطرازه القديم، وفي مكان غير بعيد الكنيس اليهودي أفراهام، ومعبد البانيان شري تيريشميرجي، وكنيسة سانت جوزيف، ومدرسة للبهرة منقوش على بابها: يا حي ياقيوم، وهو علامة سيميائية تدل على السلام والتعايش بين مختلف الديانات

[1] جماليات المكان في الرواية العربية، شاكر النابلسي، ص 65.
[2] الرواية والمكان ياسين النصير، الموسوعة الصغير، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، العراق، 1995 ص 114.
[3] ينظر بخور عدني، ص 10، 11.
[4] المكان في الرواية الأردنية: مدينة عمان نموذجًا، إسلام حسن القضاة، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة اليرموك، إربد الأردن، 2007م، ص 57.

المختلفة، ويذكر كيف يفتح شمعون دكانه باكرًا، وكيف يتناول خبز الخمير وقهوة البن الحليب من مقهى مجاور، وهي الطقوس اليومية ليس لشمعون وميشيل حسب، بل لأغلب أصحاب المحلات التجارية وكثير من سكان عدن، ويذكر ما يبيع عم شمعون في دكانه من البخور العدني والقرنفل والقرفة والهيل والكافور واللبان والصمغ والشمع والزعفران والهُرد والزَّبَد، وحلوى صغيرة للأطفال ونبيذ الزعفران[1].

ويصف المقاهي والكازينوهات والمطاعم في عدن: فيذكر أسماءها ومواقعها وأشكالها، واصفًا شكل المكان بدقة، وهل هي شعبية أم راقية؟ وما ذا تشكل وترمز، ودورها ففي الثقافة الشعبية والاجتماعية؟ ومن يملكها ومن يرتادها هل هي حكر على طبقة معينة أو جنسية أو ديانة معينة؟ ودلالة ذلك: وأنواع الأكل والشرب فيها، والقضايا التي تناقش فيها:

المقهى

يعد المقهى من علامات" الانفتاح الاجتماعي والثقافي، وقد انتشرت المقاهي في أماكن مختلفة في العالم العربي، وكانت مجتمعات هذه المقاهي منفتحة انفتاحًا اجتماعيًا وثقافيًا وفنيًا ملحوظًا، فيما لو علمنا أن بعض المقاهي كانت تقوم مقام النادي الأدبي، كما كانت تقوم مقام المسرح، فتميزت هذه المقاهي بحرية التعبير"[2]، " وفي التشكيل الظاهري لفكرة المقهى تكمن مقولة الوعاء، حيث لا يركن بساكنيه المؤقتين، بل يموج بهم في ربوع أمكنة أتوا منها، وسوف يرحلون إليها، هي ذي المخيلة الشعبية التي تتجمع أوصالها في ذلك الوعاء، فتسكبه تشكيلة جمالية خالصة"[3]

وفي هذه الرواية يذكر الراوي عددًا من المقاهي في عدن أبرزها مقهى (زَكُّو) في ميدان كريتر، حيث تبدأ الجلسات فيه قبل المغرب، وتستمر إلى وقت متأخر من الليل، فالمقهى صغير مقارنة بشهرته، حيث رُصَّتْ داخله وأمامه بضعة كراسي وطاولات، وأمامه وجانبيه مساحات مفتوحة، ويفترش رواد المقهى الكراتين ويجلسون عليها، فيجلسون للعب الورق(البطَّة) على حلقات دائرية، وكل حلقة ما بين الثلاثة والسبعة أشخاص، وتحمل الكراتين علامات تجارية لبضائع من كل مكان في العالم، حيث توضع هذه المجموعة من الكراتين على شكل حزم في زاوية من المقهى كلما أراد شخص الجلوس سحب أحدها وجلس عليه، والبعض يظل رابطًا رجليه إلى ظهرة بشال ملون حرير للعب أو للتفرج للاعبين. يقوم أحدهم بتحية آخر " سلام مربع، ويطلب له شاي مُلَبَّن"[4] أي شاي ممزوج بالحليب، وهو المعروف بـ(الشاي العدني)، وهذا التلاؤم بين المقهى بوصفه مكانًا شعبيًا، وبين الشخصيات التي ترتاده عادة مما يشكل خيوطًا دلالية تربط بين أركان العمل النصي" إذ ينطق المكان بلسان حال الشخصيات التي تحل فيه، فلا نجد منافرة بين المكان ومن يتحرك فيه؛ لأن التلاؤم والمناسبة أساس هذا النسيج الدلالي للمكان في النص السردي"[5]

---

[1] ينظر بخور عدني، ص 152 – 154.
[2] المكان في الرواية الأردنية، إسلام القضاة ص 59.
[3] الرواية والمكان، ياسين النصير، ص 40.
[4] بخور عدني، ص 74.
[5] جماليات السرد الزمكاني في قصة أصحاب الكهف: مقاربة سيميائية، أسامة عبد العزيز جاب الله، مجلة كلية دار العلوم، القاهرة- مصر، عدد 79، 2015م، ص 501.

ويشكل مقهى (زكُّو) مكانًا للحديث عن السياسة والفن والثقافة وما يحدث من مفارقات، فيتحدثون كيف أن أحد المتشردين حوكم؛ لأنه سرق فنجاني شاي من المقهى، في حين أن الدول الرأسمالية وإداراتها الاستعمارية يسرقون أوطانًا بحالها، ثم يقومون بمحاكمة فقير؛ لأنه أخذ فنجانين ويسجنونه ثلاثة أشهر[1].

الكازينو

الكازينو: هو المكان الذي تقام فيه الحفلات الغنائية الساهرة التي تصاحبها فرقة موسيقية، وهو ما يميزه عن المقهى، وقد ذكر الراوي عدة كازينوهات في عدن منها كازينو البَنْدَر الذي تغني فيه شمعة، حيث تصطحب ماما ميشيل إلى هذا الكازينو ليلة الخميس، وهو يغني لها "أخضر على أخضر شبيه المسك والعنبر"[2]، وهو من الأمثال الشعبية التي تُردد وتشير إلى اللون القريب من السُّمْرَة الذي يُشَبَّه بالأخضر، وبلوني المسك والعنبر ورائحتهما، وهو هنا يشبه لون ماما ورائحتها. وهو لا يذهب لكازينو البندر إلا ليرى شمعة، ومنها كازينو نايت بالقرب من كازينو البندر، وفيه تؤدي فيه شمعة حفلًا راقصًا مع انتشار كثيف لدخان البخور العدني ورائحته، حيث تغني فيه على دَكَّة مرتفعة قليلاً عن الأرض، في حين تعزف خمس نساء ورجل واحد: ثلاث يعزفن على آلتي دفّ وطبلة، ولملابسهن ألوان بُنِّيَّة تغطيهن من أكتافهن حتى أسفل أقدامهن، مع رقع محبوكة على صدورهن، مذهَّبة بخطوط صفراء وبرتقالية، وقد بدت الحبكات متداخلة في إطارات مخيَّطة بألوان داكنة حمراء وخضراء تشبه لون الحناء المكسو شعر رؤوسهن المصفوف في ضفائر صغيرة السُّمك، وفيه تغني أيضًا المغنية العَلَقَة بطريقة هندية جمعت فيها كلمات هندية وصومالية وعربية وانجليزية [3].

واللافت أن الكازينوهين اللذين ذكرهما الراوي لهما اسمان لا ينتميان إلى الثقافة الأصيلة لمدينة عدن؛ فالأول اسمه البندر وهي كلمة تعني الميناء في اللغة الفارسية والكازينو الآخر نايت وهي كلمة انجليزية بمعنى الليل، وإيرادهما على هذا النحو يمكن أن ينظر إليه بوصفه علامة سيميائية هي أن عدن تمزج بين الشرق والغرب، كما أنها ذات ثقافة مرنة تتسع لاحتواء مختلف الثقافات، يؤكد هذا طبيعة المحتوى الذي يقدم في هذين الكازينوهين، إذ تقدم فيهما الأغاني الهندية والعربية والصومالية والإنجليزية.

المَخْدَرَة

هي بناء على هيئة خيمة مستطيلة تتكون عادة من أعواد خشبية مغطاة بأقمشة ملونة، وتُنصب المَخْدَرَة عادة في الساحات والأمكنة الوسيعة، وتظل مفتوحة على الساحة، وتوضع عليها مفارش من سعف النخيل يغطى بعضها بسجاجيد[4]، وعادة ما تستخدم لحفلات الأعراس أو

[1] ينظر خور عدني، ص 75.
[2] بخور عدني، ص34.
[3] ينظر بخور عدني، ص 59، 60، 63.
[4] نفسه، ص 111.

للمآتم، وقد استخدمتها شمعة وهاي هتلر؛ لإقامة حفلة عرسهما، حيث اجتمع في هذا العرس أناس من جنسيات وديانات مختلفة.

وهناك أماكن عامةأخرى في عدن كالمطعم الصيني بشارع الطويل، وصاحبه ابن شي[1]، ومطعم إحسان بميدان كريتر، ومطعم الحمراء اللبناني[2]، وحلويات الهندي في شارع الطويل، وصاحبه كيكي مروانجي، ومسرح الحكايا، وبار الخيام، ومنتزه وسط قلبي، وسينما هريكن، ومكتبة العلوم الحديثة شارع السيلة[3].

من العدني؟

يدور حوار بين يعقوب المعلم الذي يحاول أن ينفي عن سعيد يمنيته فهو يمني متوكلي؛ لأن عدن ليست يمنية كما يرى، غير أن سعيد يرى أن صفة العدني ليست صحيحة، ويعتبر الدعوة إليها مخالفًا للانتماء الوطني والقومي؛ لذا يدافع عن كونه يمنيًا، وعن عدن وكونها يمنية؛ وأن يمنيته لا تقتصر على المملكة المتوكلية اليمنية، بل تمتد لتشمل عدن وجميع سلطنات وإمارات الجنوب العربي؛ لذا يوجه ميشيل كلامه لماما" أنا عدني، لقد صرت عدنيًا" فتجيبه " ومن قال لك غير ذلك، أنت عدني، طبعًا أنت عدني"[4] .

ويرى المعلم أن" العدني هو من يساهم في تمدّن وحضارة عدن، وهذا لا يحققه من لديه هيمنة أيديولوجية دينية أو شيوعية أو قومية. فالرعاع والبدو والخدم لا يملكون الحق في وصف العدني؛ لأنهم ليسوا مواطنيها أصلاً وليسوا مؤثرين في ازدهارها"[5]، في حين يرى العارف أن" كل واحد يمر من عدن هو عدني، لكن ليس بالضرورة أن يكون هو العَدَني (بألف ولام التعريف)، العدني صفة جماعية، وليست احتكاراً لفرد أو جماعة أو لحزب أو قومية، فالكل هم العدني، وكل عدني هو جزء من الكل"[6]، وهذا التعريف هو الأقرب إلى ماما ، وإلى ميشيل وكل من سكن عدن وأقام فيها، تقول ماما" كل واحد في عدن أو يمر منها فهو العدني"[7]، فالعدني هو عدن ، يصيرها منذ أن تلامس قدماه، أو حتى هواه من بعيد.. وعدن لا تعطي صفتها إلا لمن يطلبها، إذ يمكن للمرء ألا يكون عدنًيا حتى وإن ولد وعاش فيها؛ لأنه لم يطلبها، وبالتالي يمكن للملكة إليزابيت أن تكون عدنية؛ لأن هواها عدني، ويمكن أن تكون عدنية ولكن ليست ملكة لعدن أو مالكة لها.

لقد أراد البعض التوجه لعدم انضمام عدن إلى المحميات الجنوبية، ونادوا بالاستقلال من خلال الحكم الذاتي لعدن، فعدن لن تكون إلا للعدنيين كما قال الفيلسوف، فقد كتب الفيلسوف في صحيفة (العدنيون) عن ضرورة الاستقلال الذاتي لعدن، وإيقاف الهجرة إليها، وتأهيل المحليين ليشتغلوا الوظائف الحكومية العليا، فالوظائف يجب أن تكون لأبناء عدن، والتخلي عن الروبية

[1] نفسه، ص 156، 178.
[2] نفسه، ص59.
[3] نفسه، ص 112، 34، 158.
[4] بخور عدني، ص 78، 79.
[5] بخور عدني، ص 234.
[6] نفسه، ص 235.
[7] نفسه، ص 236.

وإيجاد عملة وطنية، وإبداع فن عدني خالص، وموسيقا عدنية تمثل ثقافة أبناء عدن، غير أن الفنانين الذين يعيشون في عدن ينتجون موسيقى هي خليط من العربية والهندية والفارسية والتركية والأفريقية، وبعضها فيها موروثات دينية من التسابيح الإسلامية والتهاليل اليهودية، وتحتوي أحيانًا مفردات من لغات شتى يستخدمها الجميع في عدن، والموسيقى إبداع خاص من كل هذا الخليط[1]، وهؤلاء الموسيقيون هم علامة سيميائية لجميع أبناء عدن ممن سكنها وصار بذلك عدنيًا امتزجوا في عدن من أصول وديانات مختلفة ولغات متشعبة امتزجت بهم الحياة في عدن وصار من غير المنطقي والإجحاف نزع صفة العدني منهم.

تجلس ماما ويدها على خدها مرتبكة حائرة مما يحدث لعدن، في حين أن الجميع يرقصون ويبتهجون في الشوارع بمغادرة آخر جندي بريطاني، لقد غلَّبوا صفة العروبة على صفة العدنية التي كانت التي تحوي الجميع وتتغلب على ما سواها، لقد كانت عدن مأوى من لا مأوى له، وكانت البديل عن الوطن، غير أن الثورة والاستقلال ألغت هذه الخصوصية العدنية وأخرجت غير كل ما هو عربي وأبقت صفة العربي فقط[2]؛ لذا لم يعد يشعر أنه عدني، ويخاطب نفسه" هل صارت عدن غريبة عنك إلى هذا الحد، أم أنك أنت من صرت غريبًا عنها؟ كأنك لم تتخذها يومًا بديلًا عن وطن"[3].

ثانيًا: سيمياء الشخصيات:

الشخصية هي إحدى مكونات البنية الروائية" التي تسهم في تشكيل بنية النص الروائي، بحيث يحاول منجز النص بواسطة أسلبة اللغة وفق نسق مميز مقاربة الإنسان الواقعي، وهذا لا يعني أن الشخصية هي الإنسان كما نراه في الواقع المرئي؛ لأنها توحّدٌ للبعدين الإنساني والأدبي، فهي صورة تخييلية استمدت وجودها من زمان ومكان معينين، وانصهرت في بنية الكاتب الفكرية الممزوجة بموهبته متشكلة فوق الفضاء الورقي الأبيض، لتسهم في تكوين بنية النص الروائي.. وتعكس بعلاقاتها مع البنى الحكائية الأخرى ظروفًا اجتماعية واقتصادية وسياسية"[4]، وتعد الشخصية مكونًا رئيسًا من مكونات الرواية إذ" لا يمكن تصور رواية بدون شخصيات"[5] .

ومن خلال التأمل في رواية بخور عدني وفي شخصياتها نلاحظ أن الراوي تناول شخصيات الرواية مازجًا بين الخيال والواقع، فكثير من شخصيات الرواية حقيقية عرفت في الواقع مثل: قبوة، وشمعة اليهودية والثلاثي الكوكباني... ، فالموقف التقليدي "ينظر إلى عالم النص وكأنه امتداد للعالم الخارجي وإلى الشخصيات الفنية وكأنها معطوفة على كائنات هذا الواقع"[6]، ويمكننا تقسيم

---

[1] ينظر بخور عدني، ص 203، 204.
[2] نفسه، ص 311
[3] بخور عدني ص 285.
[4] البنية والدلالة في روايات إبراهيم نصر الله، مرشد أحمد، ص 35، 36.
[5] تحليل النص السردي تقنيات ومفاهيم، محمد بو عزة، دار الأمان: الرباط – منشورات الاختلاف الجزائر، ط1، 1431هـ 2010م، ص 39.
[6] شخصيات النص السردي: البناء الثقافي، عبد الرحمن بو علي، علامات في النقد الأدبي، جدة المملكة العربية السعودية، النادي الثقافي الأدبي بجدة، ج 24، م 6، صفر 1418هـ - يونيو 1997، ص 210.

شخصيات الرواية إلى شخصيات رئيسة مثل: ميشيل، ماما، وشخصيات ثانوية مثل: شمعة اليهودية، وقبوة، وعم شمعون، وهاي هتلر، والشيخ عبد الجبار، وفرانسيسكو، والمرأة الصامتة، وحلاها، وعفورة...، ولن نستقصي جميع الشخصيات، وسنكتفي بما يمكن أن نعدها علامات سيميائية ، فالمتأمل في شخصيات الرواية يجدها كثيرة يسودها في المرحلة الأولى الود والتآلف والانسجام والتعاون والسلام بين هذه الشخصيات قبل أن تحل الحرب بعدن، لتشتت هذه العلاقات والهروب خوفًا منها، وقد اختزل تودروف العلاقة بين الشخصيات إلى ثلاث علاقات هي" الرغبة والتواصل والمشاركة"[1]، وقد تحققت الرغبة في الرواية من خلال رغبة جميع الشخصيات في البحث عن وطن آمن يتحقق فيه السلام والتعايش والقبول بالآخر، وتحقق التواصل من خلال التآلف وحكاية كل منهم همومه للآخرين، ورسائل الشوق والبوح التي يكتبها ميشيل للنساء اللواتي تركهن الحبيب وسافر، وتحققت المشاركة من خلال في الأفراح والأحزان إذ يجتمع الجميع لمشاركة أحدهم بأفراحه.

يقوم الراوي برسم شخصيات الرواية من خلال تصوير لبسها وشكلها وكلامها وتفاعلها مع الآخر وصراعها مع ذاتها من جهة، ومع الآخر من جهة أخرى، راسمًا حركاتها ونفسيتها وعواطفها وحوادثها، وما تتلفظ به من جمل، إذ أن" شخصية رواية ما تولد من وحدات المعنى، وأن هذه الشخصية لا تبنى إلا من خلال جمل تتلفظ بها أو يُتلفظ بها عنها"[2]، ويحاول استبطان نفسية بعضها ليعبر من خلال ذلك عن رؤية هذه الشخصية للآخر، وقد تعددت الشخصيات المرجعية في الرواية مثل: الدينية، الاجتماعية، السياسية، الفنية، السلبية، الإيجابية.

أولًا الشخصيات الرئيسة:

1- ميشيل

لا تكون الشخصية" اعتباطية في العمل الروائي، وإنما تشتغل لهدف معين وفق قوانين لا يمكن خرقها، أو تجاوزها، ومن هنا نستنتج أن البطل في العمل الروائي لا يمثل إلا شخصًا مميزًا على باقي الأشخاص الذين يحركون الأحداث"[3]، وتعد شخصية ميشيل هي الشخصية الرئيسة في رواية بخور عدني، وهي علامة سيميائية للإنسان التواق للبحث عن بديل للوطن، حيث يتعايش الجميع بسلام ويتقبل بعضهم بعضًا بمختلف بلدانهم وأفكارهم وديانتهم، وقد وجد الوطن البديل في عدن، فاختارها دون سواها، نلاحظه يكتب رسالة لشانتال حبيبته في فرنسا، وهي علامة سيميائية على وطنه الذي غادره بحثًا عن وطن بديل يقول في الرسالة "فالشخص الذي تعرفينه لم يعد أنا هو، وأنت لست أنت، أو لم تعودي كذلك، أو أنني لا أقدر أن أبقيك كما كنت عليه،

[1] مقولات في السرد، تزفيطان تودروف، ضمن كتاب طرائق تحليل السرد، مجموعة من المؤلفين، ترجمة: الحسين سحبان وفؤاد صفا، منشورات اتحاد كتاب المغرب، ط1، 1992م، ص 48.

[2] سيكيولوجية الشخصيات الروائية، فيليب هامون ترجمة: سعيد بنكراد، تقديم عبد الفتاح كليطو، دار الحوار، اللاذقية سوريا، ط 1، 2013م، ص 39.

[3] سيميولوجيا الشخصيات الروائية في رواية" الغول الذي يلتهم نفسه" لـ" زهرة رميج" مخطوطة رسالة ماجستير، جامعة العربي التبسي، تبسة، كلية الآداب واللغات 2018، 2019، خولة حركات- إيمان بوزيان. ص 26.

باسمك وعنوانك، وبما يمكن أن يدل عبرك إليَّ، فإذا صرت غير الذي كنته، فقد صار كل الذين ارتبطوا بي غيرهم"[1]، فهو يرحل بحثًا عن وطن بديل؛ لذا يخفي اسمه والأوراق التي تدل على هويته ، وراح يعرف نفسه تارة اسمه فرانسوا، وتارة ميشيل، وثالث لا أحد، وتارة ينسب نفسه إلى لندن وأخرى إلى نيويورك وثالثة من فلورنسا ورابعة من مارسيليا[2]، وقد اختارت له ماما اسمًا هو (أَيْشِي)، وهذا الاسم يطابق في العربية (أيُّ شيء) لا يهمه من يكون، ولاما يكون اسمه، ليكن أيَّ شي[3].

وحينما سأله عمال فندق كريسنت بالتواهي عن اسمه وهويته أجابهم أن اسمه لا شيء، أو أي شيء ليس من الضروري أن يكون له اسمًا معينًا وبلدًا محددًا حتى يتقبله الآخرون يكفي أنه إنسان، لم يفهمه أحد ولم يتقبلوه[4]، وحدها عدن من قبلته ولم تسأله عن شيء من ذلك، ومن الطبيعي أن ميشيل لا يمتلك بطاقة هوية، فقد عود نفسه على الشعور أنه بلا هوية أصلًا، إذ لا يوجد معه دليل على أية هوية، فالإنسان بكينونته لا بهويته أو اسمه وعرقه وديانته، فحين وصوله إلى عدن أراد التخلص من ذاكرته الماضية التي كان يحملها أو تحمله؛ لأنه غير مقتنع بها لا يرغب بها، ولا يجد نفسه فيها، ووجد نفسه وذاكرته الحقيقية التي يبحث عنها في عدن، بل وشعر بالتخلص من الفقد في عدن في الكأس الرابعة من شراب الزعفران[5]، وحاول أن يتخلص من جنسيته الفرنسية ومن اسمه، ومن حذائه الخشبي، ويلقب بالعدني.

صار ميشيل هو عبد الله الذي عاش في الكازينو لا يغادره إلا في مناسبات قليلة لزيارة أمه وزوجته وبناته الأربع في قريته الرابضة خلف صحراء وجبال، صار علامة سيميائية لكل من سكن عدن وصار عدنيًا بإقامته فيها، ويسائل ماما عن المُغَنِّي الذي يُغَنِّي" يا طائرة طيري على بندر عدن" وهو في عدن، غير أن ماما ظلت تنظر إليه تقلب عيونها في وجهه قائلة" كأن الحياة بركان يهدأ حين نتوزع منه، لكنه يصبح ثائرًا متفجرا ولا يخمد، وإن بدا لنا خامدًا، إذا ما تلاقت براكيننا الخاصة في بركان واحد"[6].

وميشيل هو فرانسوا الذي تتصارع بداخله شخصيتان: الأولى، وهي شخصية ميشيل الأعرج وتريد أن تلتحق بقوات المقاومة لتأدية واجبها نحو الوطن، وهو ما يريده منه الآخرون، وما عرجه إلا علامة للعرج النفسي الذي يعانيه، فهو عرج مصاحب له أينما اتجه[7]، إذ لم تستقر حالته ولا يعرف من هو ولا إلى أين يتجه، فالمسألة عنده وطن أو لا وطن وفاء أو خيانة ، وطنيون أو عملاء، فقد ذهب بعرجته إلى نجار ليركب له كعبًا خشبيا لتبدو رجلاه متساويتين وينخرط في المقاومة من أجل تحرير بلده الطاهر من دنس الغزاة الأعداء من أجل هوائه وسمائه وشعبه، ومن أجل حفظ

[1] بخور عدني، ص 7.
[2] ينظر بخور عدني، ص 8.
[3] نفسه، ص 16.
[4] نفسه، ص 7 -8.
[5] نفسه، ص145.
[6] بخور عدني، ص 235.
[7] ينظر بخور عدني، ص 69.

حدوده المقدسة رفض الوثائق الطبية عن عاهته الجسدية التي استخرجتها له أمه، غير أنه رفضها بل ووضعها في خانة ملابسه السفلى بجوار جواربه[1].

والأخرى فرانسوا، وهي شخصية تكره الحرب، وترفض حمل السلاح لتقتل الآخرين وتدافع عن وطن لم يطلب منها الدفاع عنه أصلًا، وهما علامة سيميائية للصراع الذي يدور، لقد صار شابًا وعليه أن يلتحق بقوات المقاومة ليؤدي واجبه نحو الوطن، في حين هو يكره الحرب ولا يستطيع حمل السلاح أو يساعد أناسًا في حمل السلاح ليقتلوا الآخرين، فهو لا يرى شيئًا اسمه الاحتلال، ولا شيئًا اسمه العدو، لن يشارك في الحرب من قريب أو من بعيد[2]، وقد رفض (آلبر) توظيفه في شركة انتونين بِس بحجة أن واجبه أن يكون في جبهات القتال، ورفضت أمهاته الأربع إعطاءه مالا[3]، فما يقوله الوطن للجميع: هو لا صوت يعلو فوق صوت الوطن وإلى الجبهة سر، غير ما يقوله الوطن له: هو بأن لكل واحد وطنه المختلف.

لم يعد ميشيل هو ميشيل ولا فرانسوا ولا ميشيل الآخر، ولا ميشيل جراهم أو ميشيل العدني، لم يعد هو الحلم أو الآخر الحلم، لم يعد يدري من كان ولا من يكون. كان يعتقد نفسه أنه صار عدنيًا، غير أن عدن صارت عربية ولا تقبل بغير العرب، فقد صيرها بعض معتنقوا هذه الصفة وطنًا محدد الوجهة والملامح، ومن لم يحمل صفة العروبة فليس عدنيًا وإن عاش فيها وتربى واعتقد أنه صار عدنيًا، إذ يكفي أن تشعر أن تكون عدنيًا لتكون كذلك ويسهل اكتسابها في حين العروبة لا يمكن اكتسابها، فقد صار كثير من أصدقائه العدنيين مروجي لهذه الفكرة، وطالبوا بانضمام عدن إلى اتحاد الجنوب العربي، والصفة المعتمدة في الاتحاد الجديد هي العروبة وليس العدنية، وهو ليس عربيًا، وبالتالي لا يمكن أن يصير عدنيًا، وأمثاله الكثيرون لا يستطيعون حمل هذه الصفة مثل: كيكي وسورابجي وعبده حجازي وخان وإيزانا وشنكر، فليس كل عدني عربيًا، فقد تغيرت عدن، وكأنها لم تكن يومًا بديلًا عن الوطن[4].

لقد انتصرت الحرب على السلام، فقد عاثت الحرب في عدن تخريبًا لها وتمزيقًا في النسيج الاجتماعي، إذ يقف أمام مطعم الإحسان في ميدان كريتر الذي تعود أن يتناول طعام الغداء فيه حيث يتفنن فيه الطباخ الإيطالي في جذب الناس إلى وجباته، يقف أمام المطعم فلا يرى غير أطفال أعضاء الميليشيات الشعبية من الشبابيك الخشبية مخرجين ألسنتهم مشيرين بها إليه، استهزاء به، لكن أليس هو عدني؟! صار عدنيًا، وخروج ألسنتهم دليل على انتصار الثورة والحرب على ميشيل السلام، ويتساءل هل صار عدوًا لهم أو صديقًا لأعدائهم وقريبًا منهم؟ ألم يصر عدنيًا، أم أنه فقد عدنيته أمام عدن العربية التي لا تقبل بغير العرب؟ فقد ظل ميشيل يرحل باحثًا عنه طويلًا ليصل في الأخير إلى خلاصة أن الوطن كذبة كبيرة ووهم كبير أيضًا، وهو الذي جاء من بعيد

[1] نفسه، ص 25- 26.
[2] نفسه، ص 24.
[3] نفسه، ص 84.
[4] نفسه، ص 283 -285.

للبحث عن وطن بديل، فالوطن وهم، كما أن اللاوطن وهم أيضًا. لقد أخذ حصته من الحياة وفي ذاكرته أنه كان يومًا ما عدنيًا، وفي ذلك عزاء له يتذكره وينام[1].

2- ماما

ماما علامة سيميائية لعدن التي تحتوي الجميع، إذ تعتبر كل سكان عدن أقرباءها وعائلتها، فهي تنادي: هذا أبي، وآخر ابن خالتي، والثالث ابن عمتي، وهذا أبي كيكي مروانجي ، وأبي شمعون (عم شمعون)[2]، و(ميجي) ابن خالتي، وسعيد ابن عمتي[3]، وهي من استقبلت ميشيل وصافحته، وأخذت حقيبته وذهبت به إلى بيتها؛ ليكون فردًا من عائلتها، في حين رفض الآخرون استقباله أو الاعتراف به، وهو يتحدث عنها ويطلق عليها الأم حواء، وينادیها أمي، وقد مضت مدة طيلة لم يناد فيها أمه ولم يقل لها: أماه، وقد شعر بنشوة وهو ينادي أمه بالسيدة حواء ، فقد وجد في هذه الأم وهذه العائلة موطنه الذي كان يبحث عنه، وجد فيها نفسه وعائلته التي كان يبحث عنها، ورأى فيها بديلًا عن الوطن البديل، إذ ينادي فارح(أبي) وينادي حلاها وجامع (إخوتي).

تتذكر ماما طفولتها، وتذكر (أبي جراهام، وأبي فارح) وأنهما قاما باحتضانها وتربيتها والاعتناء بها، إذ تتحدث عن طفولتها، وكيف عثرا عليها وهي رضيعة بين أعشاب خضراء تمتد إلى قلعة صيرة وساحلها، وكيف عاشت مع ديفيد وماري الصغيرة وأبي جراهم وأمي ماري، وتعلمت الإنجليزية والعبرية، ومن ثم أبي فارح وأمي حواء، ومنهما تعلمت اللغة الصومالية، كما علمها سعيد العربية[4]، وهي علامة سيميائية على تشكل عدن، وكيف صارت مدينة على أيد متعددة، وثقافات مختلفة وأديان مختلفة؛ لذا لا يحق لأحد الادعاء بامتلاكها وحده.

إن رؤية ميشيل لماما وحدها متعة، إذ صارت معشوقة الجميع لن يتجرأ أحد ويطلب التفرد بها لتكون زوجته وحده، وهي علامة على أن عدن ليست ملكًا لفئة معينة أو فكر محدد، فهي معشوقة الجميع وملك للجميع، ولا يفكر أحد في مفارقتها إلا إذا أخرج مكرها، لقد فقد ذاكرته، وفقد نفسه ولم يجدها إلا في عدن، فميشيل مثلًا لا يفكر في مغادرتها والذهاب إلى مكان آخر، لقد غدت عدن بالنسبة له وجميع من سكنها ليست وطنًا لهم فحسب، بل بديلًا عن الوطن، حتى أن الطبيب الإيطالي أنطونيو الذي عالج الامام وعالجته عدن عندما أراد المغادرة قال" أتمنى أن أرجع إليها، عدن بلد آخر، فيها كل شيء، أو هي من كل شيء"[5]

تحاول ماما أن تزرع السلام بين الجميع، فتدفع بسعيد إلى أن يصافح عم شمعون[6]، وترفع يدها لتسلم على كل من في (كازينو البندر) وهو أشهر كازينو في بندر عدن[7]" هالو، أهلا، نمستي، شالوم،

---

[1] ينظر بخور عدني، ص235

[2] نفسه، ص 112.

[3] نفسه، ص 63، 64.

[4] نفسه، ص 313.

[5] بخور عدني ، ص 125.

[6] نفسه، ص 129.

[7] ورد في المعجم الوسيط: «(البَنْدَر): مُرْسَى السفن في الميناء (فارسي)، ويطلق الآن على البلد الكبير. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مصر، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط4، 1425هـ 2004م،1/71.

سالي"[1]، وهي تحية بمختلف اللغات الانجليزية والعربية والعبرية والفرنسية، وتصف من تقدمهم في الكازينو الى ميشيل بصفتهم آبائها وإخوانها وأخواتها وبنو عمتها وخالتها على الرغم ألَّا علاقة قربى حقيقية تربطها بهم، فالعلاقات الحميمة لا تقاس بقرابة الدم والنسب، بل بالعلاقات الحميمة التي تجعلهم كأنهم أهلها إن لم يكونوا أعظم.

ألم تحاول كثير من النساء إغراء ميشيل؟: كماري الكبيرة، و ماري مكرر، وشمعة اليهودية المغنية[2]، وهن علامات سيميائية لبلدان كثيرة حاولن إغراءه، غير أنه مخلص لماما (لعدن) لا يريد سواها معشوقة، وحاولت أيضًا شيرين أخت ماما إغراءه بعد أن دعكت جسمها بمختلف والعطور، وانبعثت رائحة البخور من ثنايا جسمها وملابسها[3]، وهي علامة لبقية البلدان وجمالها وإغراءاتها ألم تقل له ماما (هنيئًا لك رائحة الهنود)؟ تقصد عطر شيرين وبخورها، غير أنه لا يرغب سوى بماما (عدن) فهي دليله إلى كل رائحة، دليله إلى عرق الحياة، إلى رائحة الحياة وعطرها، هي عزاؤه في الحياة، إذ تعود ليالي الخميس لتأخذه إلى كازينو البندر تضع المبخرة أسفل قدميه، وتذهب معه لاستخراج حكمًا بالتجنيس وبطاقة هوية له[4] .

وتحاول (شانتال) أيضًا إغراءه فتتمدد له من بعيد من فرنسا، وهي علامة أيضًا لبلده فرنسا التي ظن أنها ملكه، وأنها لازالت تذكره، وتذكر قبلته الحميمية لها والأوقات التي قضاها معها، ويرى أنها لا تتذكره؛ لأن لديها الكثير من العشاق غيره، ولم يجد هو العشق والوطن الحقيقي إلا في عدن، فهو لا يعرف من هو ومن يكون لم يعرف نفسه، ولم يكتشف ذاته إلا في عدن، فأهله الحقيقيون هم أبناء عدن[5]، والإحساس بالانتماء للمكان" هو الذي يحدد طبيعة المكان من ناحية الغربة والألفة"[6]، فهو لا يغريه لا شانتال ولا غيرها ، فعينا ماما شغلتاه عن كل العيون، فهي" ليست ككل العيون وإن كانت كل العيون في عينيها"[7]، فقد أنسته عدن كل المدن، يقول" هل كان لشانتال رائحة ولون؟ كيف يمكنني أن أتذكر؟. بالتأكيد كان لشانتال لون، لكنه كلون الجميع...."[8] عكس ماما ولونها ورائحتها.

يتذكر كيف مازح أخته وهي ترضع من ثدي أمه، ووضع فمه على حلمتها يتذكر هذه الرائحة، ويحاول إقناع نفسه أنه قد عرفها قبل عدن، لكنه لم يشم رائحة الأمومة الحقيقية إلا في عدن، فهي ثدي الأم التي شمها وهو يزيح اخته عن ثدي أمه، ليضع فمه ويشتم رائحته العبقة، كان يكرر الاستنشاق ليتذكر هذه الرائحة، غير أنه لم يجد هذه الرائحة إلا في عدن، فهي الأم الحقيقية، يقول" مرة مازحت أختي الصغيرة وهي ترضع، بإبعادها ووضع فمي على حلمة أمي. يومها شممت

---

[1] بخور عدني، ص 12، 14.
[2] ينظر بخور عدني، ص 110.
[3] نفسه، ص 231.
[4] نفسه، ص 140.
[5] نفسه، ص82.
[6] سيميائية الشخصية في رواية إصرار لبوشعيب الساوري، سعيدة بوداب، رسالة ماجستير، كلية الآدب واللغات، جامعة العربي بن مهيدي- أم البواقي، الجمهورية الجزائرية، 2015م، ص 116.
[7] بخور عدني ص 110.
[8] نفسه، ص 40.

رائحة عبقة، شعرت أنها ليست غريبة عن أنفي. بقيت اكرر المزاح، كلما تسنّى لي ذلك، حتى أستنشق هذه الرائحة، التي ظلت العلامة الوحيدة في ذاكرتي الشمية كدليل أقنع به نفسي أنني كنتُ قد عرفت الرائحة قبل مجيئي إلى عدن هل لشمعة رائحة أيضًا، استعدتُ مذاق الشراب المميز وأنا أستمع إلى أحاديث ماما. هل كانت تحدثني أم تتحدث إلى نفسها؟ وأنا، إلى من كنتُ أتحدث؟ إلى نفسي؟"[1]. لقد توحد مع ماما مع عدن واستعاد طعم الشراب وهو يستمع لحديثها، لم يدر هل كانت تتحدث إلى نفسها؟ أم أنه يتحدث إلى نفسه، فقد صارا شيئًا واحدًا.

يحدث انفجار في الكازينو الذي كانت فيه ماما، حدث الانفجار في الوقت الذي ذهب فيه عبدالله حارس الكازينو لشراء الحليب، والحليب علامة سيميائية للحياة واستمرارها، والانفجارات علامة للموت، لقد استبدلت عدن البارود بالحليب والموت بالحياة، لقد تفجر كل شيه فيه، غير أنهم لم يعثروا على ماما في الركام، فقد اختفى جسدها اختفى جسد عدن جراء ما تمر به ولم يعثر على شيء يدل عليها، وفي اختفاء جسدها دون روحها دلالة أن روحها لاتزال موجودة، وفي ذلك علامة أن هذا الركام سينتهي وستعود، فقد كانت جميع تصرفات الناس غير محسوبة إلا ماما كانت تصرفاتها محسوبة كانت تبدو وكأن لا شيء يربكها، بل بدت كأنها ذاهبة إلى تحقق رؤى تعرفها مسبقًا[2]، إذ قتل في الكازينو عيشة ونجيب ومن تبقى من فرقة شمعة مع أولئك الذين لم يكملوا نقاشهم، وكأن هذه الفرقة وأعضاءها هي من تهب لعدن الحياة، وبموتهم اختفت البسمة من عدن.

هل انفجر البركان في عدن، وأين ماما من ذلك أين عدن؟ أين اختفت؟، حتى الفقد لا يؤكده افتقاد، كأنها كانت ولم تكن، كأنني أنا أيضًا كنا آخر في عدن أخرى، كما أولئك الذين اختفوا فجأة، أو سافروا بعيدًا عمن كانت لهم الأخرى عن الوطن، الأخرى عن المنفى، الأخرى عن الأخرى[3]، وكأن عدن التي كانت تلك المدينة المحتوية لكل سكانها لم تكن كذلك.

وبفقده لماما لعدن الأم يفقد توازنه ويتساءل: هل يبقى في عدن أم يمضي منها؟ غير أنه لا يستطيع أن يذهب بدون عدن، ولا يستطيع أن يبقى بدون ماما، هو يريد البقاء لكن إذا عادت عدن أمًا له كما كانت من قبل، ولا يستطيع أن يظل فيها بعد أن فقدت صفة الأمومة، كما لا يستطيع أن يمضي بدون عدن التي صارت جزءًا منه؛ لذا يغني" يا ليت عدن قريبة"[4] يغنيها لماما وهو في عدن، فقد صار غريبًا عن عدن وهو فيها. لم تعد تلك المدينة التي عرفها وألفها وأحبها وعاش فيها وصار عدنيًا، لقد صار مشكوكًا في ولائه الوطني؛ لأنه لم يحدد وجهته ومع من يقف.

بعد أن كانت عدن البديل عن كل شيء صار من يمسكون بعلم الوطن وجهته الوطنية هم البديل عن كل شيء، فقد سجنوا كل من يخالفهم، فقد سجنوا المعلم وميجي وشنكر غير أن عدن - كما تقول ماما- " ليست سجنًا له جدران وباب واحد، عدن بحر، من البحر وإلى البحر لا يمكن لأحد

[1] بخور عدني، ص 40- 41.
[2] ينظر بخور عدني، ص 332 -334.
[3] نفسه، ص 335.
[4] بخور عدني، ص 334.

أن يغلقها"[1]، إذ لم تودع ماما المغادرين، وكأنهم مازالوا بالقرب منها، أو أنهم راحوا في إجازة وسيعودون في أية لحظة[2]، وفي ذلك دلالة أن من استولوا عليها لا يمكن أن يحاصروها ويغلقوها على من يريدون، فعدن بحر تستعصي على الإغلاق، فرغم كل ما حدث ومغادرة الكثيرين، فقد بقي البعض بقي خسرو وشيرين وفريال وورولا وجالا ومحمد مفضل وهاي وسالم وفارح وحلاها وحواء...، ألم تبقى ماما معهم؟ وهذا يكفي أليست هي عدن؟[3].

ثانيًا: الشخصيات الثانوية:

1- شمعة

شمعة اليهودية من الشخصيات الرئيسة في الرواية وتتأتى أهمية الشخصية عادة من " أهمية الدور الذي تقوم به في السرد والذي يجعلها تبعًا لذلك إما شخصية رئيسية محورية، أو شخصية ثانوية أي مكتفية بوظيفة مرحلية"[4]، وتمثل شمعة علامة سيمائية لنشر السلام والمحبة والقبول بالآخر، فقد تزوجت أكثر من شخص بديانات مختلفة[5]، وبعد رحيلها أرسلت رسالة صوتية مع أغنية لها لجمهورها ومحبيها في عدن يوم عيد الأضحى، وقد ذهب الكثيرون للاستماع حتى أن البعض كان يدعو الله أن يسامحه؛ لأنه ذهب للاستماع لأغنيتها ولم يذهب لصلاة العيد، فقد كانوا في شوق لسماع صوتها، وهي علامة للتسامح بين الأديان وقبول بعضها بعضًا، ترغب شمعة في إشاعة السلام في عدن؛ لذا نجدها تبدأ رسالتها الصوتية بعبارة(آح يا عدن)، وهي عبارة تدل على التوجع والتألم والتحسر على ما يحدث في عدن، فقد بدا صوتها مجروحًا من عدن لما يحدث فيها من الفوضى والقتل وعدم القبول بالآخر وإشاعة الكراهية والتفرقة والحقد بين أبنائها، ومجروحًا أيضا شوقًا لها، فهي مدينتها ومحبوبتها المفضلة فقد أثَّرت فيها، إذ نقلت عاداتها معها، تقول" يا أحبتي وأهلي. أعيش في روش هاعين، لكن عقلي وروحي تركتهما عندكم في عدن. لو جاءت الآن طائرة وقالت لي: هيا إلى عدن لما تأخرت لحظة وجئتُ إليكم بملابسي التي فوقي. ياسين عليك يا عدن. نقلنا عاداتنا كلها معنا نقلنا الغُمّيقَة والكوفية ومَصَر الرأس والمَخْمُق والزَّنَّة والقَرْقُوش واليَلَق والكَهْرَب والفضة والجَزَعْ[6] والعقيق اليماني، آه منك يا العقيق اليماني نقلنا الزُّرْبيان والصَّالُونَة والمَنْدِي[7]؛ السَّمْرَة والمَدَاعة والقات والهَدْرَة[8]. نقلنا عدن واليمن كلّها إلى روش هاعين، نقلنا دان اليهودي... ياسين عليك يا عدن، يا عيني عليك يا عدن"[9] .

---

[1] بخور عدني، ص 335.
[2] ينظر بخور، 327.
[3] ينظر بخور عدني، 323.
[4] بنية الشكل الروائي القضاء الزمن الشخصية، حسن بحراوي، المركز الثقافي العربي، بيروت – لبنان، ط 1، 1990، ص 215.
[5] بخور عدني، ص 135، 136.
[6] الغُمَّيقَة: لعبة يلعبها الأطفال بالاختباء والبحث عن بعض، الزَّنَّة: وهي الثوب باللهجة اليمنية، الَقَرْقُوش: وهو غطاء يلبس على الرأس، اليَلَق: لبس يلبس على القميص ويكون عاري الذراعين، الكهرب والجزع والعقيق اليماني: هي أنواع من الأحجار الكريمة
[7] الزُّرْبيان والصَّالُونَة والمَنْدِي: أصناف من الأطعمة اليمنية.
[8] السَّمْرَة: وهي السهر مع رفاق، والمَدَاعة: وهي ما يعرف بالشيشة أو الأرجيلة، والقات: شجيرة تنبت في شرق أفريقيا واليمن، والهَدْرَة: أي الكلام الكثير.
[9] نبخور عدني، ص 293، 294.

تغني شمعة أربع ليال في الشهر كل ليلة لطائفة وليلة الخميس تغني للجميع حسب ديانات أزواجها الأربعة، فقد تزوجت بثلاثة وتزوجت أخيرًا من أحد أعضاء فرقتها الموسيقية اسمه ولد تقية الصنعانية، وهو تركي ويدعونه هاي هتلر، ويعزف على التنك والصحن، غير أنه مسلم ولن يرضى أهلها بذلك، حيث تغني مع فرقتها أغنية راقصة تجمع فيها بين اللغات العربية والعبرية والهندية والانجليزية[1]، وهذا الزواج علامة سيميائية للحرب التي يجب أن تنتهي، وينتهي فكر هتلر النازي، فقد تزوجته وتغير اسمه، وحلقت له شاربه الهتلري ، ليصبح بلا شارب، وهو علامة على الرغبة في انتهاء هذه الحرب وانتهاء هتلر وغير ممن يشعلون الحروب[2]، لكنها لم تستطع محو الاسم هاي هتلر، وهي علامة على صعوبة اجتثاث الحرب وبقاؤها مهددة السلام والأمن في العالم.

2- حلاها

وكما كانت شمعة علامة للقبول بالآخر والتعايش بين مختلف الطوائف، فإن(حلاها) علامة سيميائية لنشر المحبة والسلام، فهي تحاول مواجهة كل ما يلوح في الأفق من إشاعة الكراهية والخراب والدمار والقتل في عدن ...الخ من خلال فتحها لمحل في سوق البُهْرَة لبيع البخور والعطور، فقد تفنّن عبد النبي عبد الحسين وحواء وسوامي في صناعة البخور، وجلبت محلات غلام والمُلَّا من الهند النَّد والعود، ومن باريس العطور. إذ اشتهر في السوق مختلف موضات الملابس والأحذية النسائية، وأنواع العطور، والنساء المزدحمات قي المحل يطلبن أنواع العطور المختلفة مثل: ليلة ولا ألف ليلة، عَذْبَني حبك، واعِدْنِي، لا تتأخر، عَرَقي، جنتي، ناري، الملكة، إذ رَكَّبَتْ حلاها عطرا باسم الملكة إليزابيت، وادعت أنها أرسلته لها، وعطر يحمل اسم شمعة: ورَكَّبَتْ أيضًا عطرًا مكونًا من عشرين عطرًا أسمته شمعة، كما صنعت بخورًا تحت مسميات مختلفة: البندر، اليهودي، الملكة، كريتر. لقد أرادت حلاها من هذه العطور والبخور المختلفة أن تجعل الناس يفورون عاطفة كالبركان، غير أن عدن كانت على فوهة بركان قادم من نوع آخر تمثل في صوت الكفاح ضد الاستعمار بكافة أشكاله، إذ لم يعد يعلو أي صوت سوى صوت الكفاح ضد الاستعمار بكل الأكال مظاهرات، إضرابات، دعوات للكفاح المسلح[3].

3- قبوة:

وهي أشهر بائعات الفل والكاذي، وهو نبات زهري طيب الرائحة عادة ما تضعه النساء على شعورهن وأجسادهن لتعطيه رائحة زكية، والمَشَاقِر التي توضع على الخدود للزينة والرائحة الطيبة، والرياحين، والوُزَّاب، والشَّذَاب والزعفران في عدن[4]، وهي نباتات عطرية لها رائحة طيبة تشبه العطر، وهي علامات سيميائية للحياة ولبهجة النفوس والسعادة والأمن.

[1] نفسه، ص 19، 21.
[2] ينظر بخور عدني، ص 114.
[3] نفسه، ص 297 – 299.
[4] نفسه، ص 50.

غير أن الأمور لم تدم على ذلك، إذ تغيرت الأمور، وغيرت الحرب كل شي، فهذه قبوة ترد على ميشيل حين سألها: أين الكاذي يا قبوة؟ فتجيب" لم يتركوا لي حالي لأفكر بالكاذي، الدنيا حرب ودم من صباح الصبح"[1]، لقد تغيرت الأحوال وحلت الحرب والخراب والموت والكراهية والدماء، إذ تم سرقة محلات الذهب، وسالت الدماء في الشوارع بما فيه شارع الزعفران وهو بجانب كونه اسم شارع، فإنه يحمل علامة للسلام، فالزعفران من التوابل، وهو طيب الرائحة لونه أصفر ويضيف نكهة طيبة للطعام، وعُثر على العارف وقبوة عاريين ومقتولين في الشارع؟ قبوة بائعة الفل والكاذي الأنيقة المظهر، ومعلمة لغة الفل كما يطلق عليها العارف[2]، وهي لغة المحبة والتسامح والسلام، وبقتلها قاموا بذبح المحبة من أصولها من خلال قتلهم لأصل العطر وهو الفل والكاذي[3] .

4- عم شمعون:

شمعون: يهودي هرب جده من الاضطهاد في أسبانيا، واستقر في عدن، وتزوج بيهودية من ذمار إذ شعر أنها وطنه[4]، وفتح دكان وسط شارع الزعفران، وهو أحد رموز التعايش والقبول بالآخر في عدن، غير أن المتظاهرين مع فلسطين ضد اليهود أحرقوا محله التجاري بحجة أنه يهودي؛ نصرة لها على الرغم أنه قال قبل الحريق بأن لاعلاقة له بذلك، فالحرب في فلسطين وليس في عدن" هذه عدن مش فلسطين، ليتركونا وحالنا نطلب الله على بطوننا، وبطون عيالنا"[5]، ونهبوا محتويات محله التجاري ومحتويات منزله، حتى غرفة المستأجر في سطح العمارة نهبوا محتوياتها.

5- هاي هتلر:

هاي هتلر: أُمُّه تقية الصنعانية أحبت جندًيا تركيًا في الجيش التركي، إذ تعرفت عليه في صنعاء وأحبته وأحبها، ورفض أبوها أن يزوجها به لحقته إلى عدن بعد أن حملت منه. لم تجده في عدن، وعملت منظفة عند البسّ، وكان يغني معها في الأعراس وبعد وفاتها استمر في الغناء أسمته (شوكت) على اسم أبيه، ولقبه الناس هاي هتلر، حيث كان يرفع يده على المتحلقين حوله كما كان يفعل ذلك هتلر، بل وحلق شاربه مثل هتلر؛ لذا لقب بهاي هتلر، ويغني أغنية كانت الأمهات التركيات يغنينها عن أبنائهن الذين ذهبوا لليمن ولم يعودوا، ويضطر لمجاملة العرب ويغني لهم أغنية سيد درويش؛ لأنها من الأغاني الوطنية تمجد الحرب والجهاد، وتدعوا لتضامنهم واتحادهم ضد اعدائهم، ولا عدو للعرب لهم سوى أنفسهم[6]، كما أن هتلر هو عدو نفسه وعدو ألمانيا، كما أن فرنسا عدوة نفسها، وهو علامة للسلام وترك الحرب، وما تخلفه من دما وتمزيق وزرع البغض بين الناس، وعدم تقبل الآخر.

---

[1] بخور عدني، ص 190.
[2] ينظر بخور عدني، ص 50.
[3] ينظر بخور عدني، ص 304.
[4] نفسه، ص 112.
[5] بخور عدني، ص 187.
[6] ينظر بخور عدني ، ص 104، 107.

قام متظاهرون بالإضراب دفاعًا عن فلسطين، وأن هتلر قادم لتحرير فلسطين، بل وأطلقوا على هتلر اسم محمد والحاج هتلر، هتلر علامة للحرب ولمشعل الحروب، وهي مفارقة تتحدث عنها الرواية، وما يقوم به العرب من الوقوف مع هتلر مشعل الحرب والدمار والأمل بتحريره لفلسطين، وما يسمونه من ألقاب وادعاؤهم أنه أسلم وحج لمكة، غير أن هتلر انتحر في برلين زعيم النازية و تم طلاقه من شمعة في عدن، فقد "تخلص هتلر من الحياة بالانتحار، وبعبارة أدق تخلصت الحياة منه، وتم طلاق شمعة من هاي هتلر وانتصر السلام"[1]، غير أنه سلام زائف مؤقت، فالحرب لا تنتهي الا إذا انتهت بقاياها من أرواحنا وأجسادنا.

6- الشيخ عبد الجبار

يلبس قميص أبيض وعلى رأسه غطاء، وهو إمام لأحد المساجد في عدن لم يذكر أي مسجد[2]؛ لأنه علامة سيميائية لكثير من أئمة المساجد في عدن الذين يسبحون عادة عكس التيار، ويخالفون السائد في المجتمع، فهو يدافع عن محاكمة المتشرد الذي سرق فنجاني الشاي معتبرًا أن ذلك هو حكم الإسلام محذرًا من مخاطر عدم اتباع تعاليم الإسلام على الجميع، وعدم التفكير بأي شي مع وجود قادة الإسلام مرشدي الأمة، ويدعو الله أن ينصر هتلر، ويكفر البخور، ويستنكر تعليم بنات التجار، وزيارة قبر الولي العيدروس[3].

7- فرانسيسكو والمرأة الصامتة

هو موظف إيطالي في مصنع الملح، وعلى الرغم من كل الحملات الدعائية ضد إيطاليا والإيطاليين لأنه إيطالي، فإنه لن يغادر عدن، كره الحرب؛ لأنه فقد أباه فيها وجاء إلى عدن[4]، وعادة ما يلتهي عن الحفلات والأغاني ليحدث جلساءه عن الحرب، ويدعو للتعايش والمحبة والسلام؛ لذا فهو يتوقع ساخرًا أن يصدر القاضي حكمًا بإعدام العطر في محاكمة العطر والبخور.

تزوج فرانسيسكو المرأة الصامتة دون أن يجمعه بها فراش واحد، وهو حزين بعد وفاتها[5]، فهو يهتم بها دائمًا لأنهما شيء واحد[6]، فالاثنان علامة سيميائية للسلام، وكره الحرب والتنبيه على خطرها واستشرافها من بعيد، ففرانسيسكو ينبه على خطرها بعدم الاهتمام بالحفلات والغناء، والحديث مع جلسائه ينبههم على خطرها، والمرأة الصامتة لا تهتم بشيء تظل صامتة متوجسة الحرب، فهي لا تمرح أثناء الأغاني في حين أن الجميع يمرحون مستمتعين، وتجلس لوحدها دائمًا في صمت لا يهتم بها أحد إلا ماما التي تنحني أمامها وتبادلها النظرات بابتسامة خفيفة بينهما[7]، لم تهتم بما يدور

[1] بخور عدني، ص 138.
[2] ينظر بخور عدني، ص 76.
[3] ينظر بخور عدني، ص 121، 122.
[4] نفسه، 73، 74.
[5] نفسه، 269.
[6] نفسه، ص 39.
[7] نفسه، ص 38، 39.

من نقاش حول زيارة الملكة[1] ، وقد عثر عليها ميتة على الشاطئ أسفل جبل صيرة: صيرة جبل صغير يطل على البحر العربي والمحيط الهندي مباشرة، وهو علامة للأمل واستشراف المستقبل من خلال النظر للعالم إذ لا يفصله شيء عن البحر، لقد قتلت المرأة الصامتة، قتل السلام والمستقبل الهادي والآمن لعدن قتل على الشاطئ[2] .

ثالثا: سيميائية الأحلام

1- حلم الملكة

حلمت (ماما) بزيارة ملكة بريطانيا اليزابيت الثانية لعدن، وأن الملكة كانت تحلم بعدن وهي تغني(ياليت عدن قريبة)[3]، وكان حلمها هو الخلاص المطلوب لعدن من خلال الاهتمام بها ورعايتها، بل حتى الزبيدي منجم بيت الفقيه يشارك في هذا الحلم، ويتنبأ بزيارة ملكة بريطانيا لعدن[4]، فقد حلمت ماما أن اليزابيت الثانية ستزور عدن، وهو حلم اليمنيين الذين يشتاقون لعدن ويجدونها المخلص لهم مما هم فيه، فقد كانوا يتغنون دائمًا(يا ليت عدن مسير يوم أسير لها ليلة ما أرقد النوم)، وزيارة الملكة تعني أنها تحب عدن وتعطيها أهمية باعتبارها مستعمرة بريطانية، والحلم معقد فهو حلم داخل حلم فالملكة تحلم وتغني، فالملكة هي الحلم هي عدن التي تجمع الجميع على اختلاف طوائفهم، وكيف ينبغي أن تكون، هي أحلام أبناء عدن والمخلص لهم من كل همومهم، غير أن كل طائفة تريدها كما ترغب.

وقد قرر الجميع صياغة رسالة للملكة من كل الطوائف والمذاهب والجمعيات والأحزاب والنوادي والشخصيات البارزة ونجوم عدن وأقمارها وشموسها رسالة تكتب بكل اللغات، إذ اعتبروا أنفسهم كلهم عدنيون، وعليهم أن يكتبوا جميعًا الرسالة، فالمطالب التي يريدون توجيهها للملكة كثيرة: الحكم الذاتي، الاستقلال، عمال الميناء، مشكلة فلسطين، إدخال الفريق العدني في كاس العالم، إتاحة الفرصة للعرب ليعملوا في بناء مصافي النفط، بل والمسائل الشخصية، فقد طالب أحدهم الملكة بالتوسط عند حبيبته البريطانية، وآخر طالب بتطليقه من زوجته وتعويضه، وعفورة ستشكو زوجها إلى الملكة. تحولت المواضيع إلى الهزل، وفي الأخير لم يرسلوا الرسالة؛ لأحد لأن ملكة بريطانيا علامة للمخلص الذي يرغبون أن يخلصهم من همومهم ويحل مشاكلهم، إذ لم يهتموا بطلب مشروباتهم كالعادة، وكأن الحلم صار بديلًا للعب بالورق والقهوة والشاي والنبيذ والخمر وكل شيء[5] .

حددوا الأماكن المتوقع أن تزورها الملكة في عدن، مثل: قلعة صيرة، وصهاريج عدن، ومقهى زكو وفيه ستشرب الشاي العدني المُلَبَّن أي: الممزوج باللبن، وستسهر بسينماء هيركن، واقترحوا الهدايا التي سيقدموها للملكة، مثل: العسل الدوعني، وتشم قبوة الكاذي، وتلبس عقد

[1] نفسه، ص 245.
[2] نفسه، ص 278.
[3] ينظر بخور عدني، ص 219.
[4] نفسه، ص 221.
[5] نفسه ص 244، 245..

فل، وينتقون المبخرة المناسبة التي ستشم فيها الملكة البخور العدني، بل وأعدوا الأسطوانات الغنائية التي ستسمعها الملكة، تشمل أغنيات مقترحة تشمل أغاني عربية يمنية عراقية مصرية وعدنية وهندية وفارسية وتركية وانجليزية وفرنسية[1] .

اصطف الآلاف على قارعتي الطريق لاستقبال الملكة وتحقيق الحلم بزيارتها لعدن: رجال ونساء وشيوخ وأطفال وشباب بالغناء والرقص والعزف والتصفيق، والبعض منهم حفاة وعراة مرقعة أحلامهم بمشهد صاحبة الجلالة وهي تلوح لهم من على سيارة لاندروفر سوداء بتحية ملكية[2].

لقد أكسب هذا الحلم الناس حماسًا وهمة في الاستعداد لاستقبالها، غير أن هذا الحلم ضاع، فقد اختفت الملكة في عدن، ولم يعد الحديث عن الأحلام مقبولًا، فالملكة هي أحلام الناس في عدن، أحلامهم في الاستمتاع بهذه المدينة بهدوء والعيش فيها بسلام، الأحلام التي اختفت ولم يعد ممكنًا تحقيقها بفعل الحروب وما يحدث في عدن، حتى الحديث عن الأحلام لم يعد مقبولًا، لم تستطع الملكة (الأحلام) حتى التعطر بعطر(يا مسهرني)، أو تتبخر بالبخور الذي صنع لها، أو تستمع إلى أغنية العشق الفارسي عن مجنون شيرين، فـ(الملكة) هي شيرين، هي الأحلام التي تاهت ولم تتحقق، فقد اضطرت شيرين إلى الزواج من الشيخ الصغير، حيث تبدو بكامل أناقتها وهي تسأل عن مصير الملكة إليزابيت الثانية، لتظهر في اليوم التالي وهي تكنس أمام الشقة بشعر منكوش، وهي عفورة أيضًا، فأخبار الملكة إليزابيت عند عفورة، يسألها الناس عن اختفاء الملكة في عدن، فتجيب بأن الملكة سمعت الأغنية البدوية" اخطفني واهرب بي" وتأثرت بها، فلبست الشيذر والنقاب على غفلة من الأمير فيليب، وتسللت من جواره وهو نائم، تقول عفورة" أنا رأيتها في آخر الليل تمشي لوحدها. تتلفت خائفة من أهلها؛ لكيلا يتبعونها" فالجميع يعرف أن عفورة تبات في السيسبان[3]، ومن تزوجوا ليلة وصول الملكة ووعدوا أن يسموا بناتهم باسم الملكة إليزابيت أخلفوا ما وعدوا به وسموا بناتهم باسم مليكة تصغير ملكة[4]، فقد خَوَّنَها البعض، بل راحوا يسخرون منهم، وقاموا بتأسيس أحزاب كحزب اتحاد الوطنيين وحزب الكفاح هدفه طرد المحتل البريطاني من عدن، ومحاربة كل من يخون وطنه ولو بالأحلام حتى الأحلام صارت خيانة.

2- حلم الطائر

تحلم ماما بالطائر الذي يطير وترافقه سكين بدون يد تمسك بها، وكلما هوت السكين في الفضاء التقطها الطائر لتواصل مرافقته، إلى أن تَقوَّت وانتصبت والتفت حوله وانغرست في رقبته[5]. تحلم ماما (عدن) بهذا الطائر، وهو علامة سيميائية لأبناء عدن وكيف يسعون لقتلها بأيديهم، وإثارة العصبيات والفتن وإسالة الدماء، وكلما هوت السكينة وهدأت الفتن عادوا لإثارتها

[1] نفسه، ص 254.
[2] نفسه، ص 263، 264.
[3] نفسه ص 275، 276.
[4] نفسه، ص 278.
[5] بخور عدني، ص 286.

مرة أخرى كما فعل الطائر بالسكين التي هوت ليتلقفها بمنقاره لتعيد ذبحه ونتف ريشها من جديد. تحاول عدن التماسك، وتلم جراحها كما حاولت ماما أن تتبع الطائر الذي يطير والدم يتقطر من جرحه وتحاول هي تتلقف دمه في راحتها وهي تركض بعده، حتى تصل إلى حافة الهاوية وهي الهاوية التي تعلن ماما (عدن) العجز عن لملمة الجراح، فيتهاوى جسدها متبعًا أثر الطائر، ولم تعد ترى سوى جناحيه وهما يرتعشان ويهويان بريشهما في حال فزع، وهو حال عدن التي صارت فوق بحر من نار يثور بجمرات كالجبال أفزعها من النوم وما زالت في حالة فزع، إنه حال عدن وما يصير فيها.

تتحدث ماما (عدن) عن ما يحدث في عدن هو تفسير لبعض حلمها وليس كله[1]، إذ كانت عدن تنعم وساحلها بالهدوء: فالشباب يسبحون يتسابقون ويتضاحكون، والنساء بملابس البحر يلاعبن أطفالهن، وكنيسة القديس أنطونيو الكاثوليكية تنعم بالهدوء، غير أن الرجل العجوز الذي يتكئ على صخرة وعيناه شبه مغمضتين، وهو يُعَوِّذ عدن من حالة الحرب التي يتوقعها قائلًا:" ياسين عليك يا عدن من قَرْحة المدفع"[2] ، وهو علامة للحكيم الذي يتأمل الحرب من بعيد، وهو ما حدث، فقد تغير كل ذلك وأحاطت الحرب بكل شيء، إذ اختلطت أخبار الحرب بالأغاني في الكازينو، فتوقع البعض أن الإيطاليين قد يهاجموا عدن من الجو، وتوقع آخرون استهداف أسواق كريتر، وميناء التواهي والمعلا وخور مكسر، كما قلص المعهد البريطاني المحاضرات العامة التي يقيمها، وصار همه الرئيس هو الدعاء للحلفاء في جبهة الحرب، وقام خطيب المسجد في حافة حسين يدعو للجهاد والتبرع لشراء طائرة حربية جديدة تحمي عدن" يشترون الحرب مع أن في داخلهم منها ما يكفي للتصدير والبيع"[3]، فانكفأ الناس على أنفسهم جراء هذه الحرب، وقرروا الانزواء وتناول القات وحيدين على سطوح المنازل ليحدثوا أنفسهم بصمت أو بصوت هامس، أو بالذهاب للبار، أو للبوح للبحر بما يعانونه[4] .

وغادر البعض عدن إما خوفًا من البقاء فيها أو طلبًا من الثوار للبعض بمغادرة عدن: فقد غادر جراهام عدن بعد أن قضي أغلب حياته فيها؛ لأنه لم يعد مرغوبًا به، فقد صارت عدن للعرب فقط حتى من بقى بقي بلا عمل، وطلبوا من حلاها تغيير أسماء العطور التي كانت تخلطها إلى أسماء ثورية(الشعلة ، الاستقلال، الحرية، الثورة، النضال)، هرب الكثيرون منها: فقد غادر القالي رئيس حزب العروة إلى القاهرة، وهرب فيلسوف عدن إلى الكويت، وهرب الشيخ عبد الجبار إلى مكة والسيد أبو القاسم رئيس جمعية الاعتصام وأبو الفضل اللحجي صار في تعز، كما هربت قيادة جبهة التحرير وقيادة حزب اتحاد الوطنيين، مفضل الإسماعيلي غادر إلى دبي بعد أن أمموا

[1] نفسه، ص 320.
[2] بخور عدني، ص 72.
[3] ينظر بخور عدني، ص 69 – 72.
[4] نفسه، ص 186.

ممتلكاته، وغادر سوامي إلى لندن وترك محل العطور في سوق البهرة، وغادر عبده حجازي مع زوجته تسنيم بعد أن أمموا هو الآخر ممتلكاته، وغادر كيكي تاركًا محل حلويات الهندي[1].

وتم إبلاغ الفيلسوف أنه غير مرغوب فيه، وأن عليه مغادرة عدن، ومنعوا القالي من المغادرة ومن بيع أملاكه، ومضوا في تأميم كل شيء بعد أن أمموا الأحزاب والجمعيات، وأسكتوا الصحف وأمموا البيوت والتجارة والممتلكات، وأسكتوا الناس كل الناس، وأعلنوا أنه لن يكون هناك سوى حزب واحد حزب جبهة الوطن وصحيفة واحدة هي صحيفة الوطن، وشركة واحدة بدون شركاء هي شركة الوطن، كان الفيلسوف يكتب من قبل قصائده الداعية إلى استقلال عدن، غير أنه لا يستطيع الآن أن يلبي طلبهم وأن يكتب للثورة ويهاجم أعداءها، ويتساءل: من هم أعداؤها؟!، صار العداء الثوري بين الاب وابنه وبين الأم وابنتها: ألم يوافق الشيخ الصغير بحبس والده الشيخ عبد الجبار لمدة شهرين ومن ثم تركه يغادر إلى مكة[2]، كيف وافقت أم الشيخ الصغير على سجن زوجها وذهبت تحج بدلا عن ذلك أكثر من مرة، وكثرت الاغتيالات بحجة التخلص من أذناب الاستعمار وعملائه الخونة [3]، ومنعوا التفكير إذ لا يحق لأحد أن يفكر إلا قادة الوطن ومنظري الثورة الذين يفكرون للجميع ويوجهونهم إلى طريق الثورة الحقيقي طريق التقدم والحرية، وقد واجههم المعلم بقوله" تتخلصون الآن من منتقديكم، والمختلفين معكم بالقوة، سيجيئ يوم تبحثون فيه عن أعداء جدد ولن تجدوا غير رفاقكم، لن يكون هناك غيرهم، غير أنفسكم"[4] .

لقد انشقت الأحزاب والجمعيات في عدن واشتعلت المعارك بينها، ونزف الدم بين الإخوة الأعداء؛ هذه المفارقة دعت المؤلف لإطلاق أسماء ثلاث من الراقصات الشهيرات في مصر آنذاك على هذه الأحزاب وهن: نعيمة عاكف وتحية كاريوكا وسامية جمال، فهي أحزاب ترقص على جثث أبناء عدن وأشلائهم ودمائهم، وعلى آلامهم وآمالهم وطموحاتهم[5]، فقد انقسم حزب تحيا كاريوكا إلى فرق وتيارات (جماعة كريستينا التي ترقص في سينما بلقيس وليس عبر الشاشة وتجمع بين الرقص الشرقي والغربي وليست محافظة على تقاليد الرقص القديمة كتحيا كاريوكا، هناك تيار يعجبه الرقص المائل نحو اليسار بشكل خفيف (وهو التيار التقليدي المحافظ)، فيما تيار آخر لا يرتاح إلا إذا رأى الراقصة وهي تنعطف من جذعها كليا نحو اليسار. فريق من تيار الرقص المائل والخفيف يتحالف مع تيار آخر يدعو لبقاء قوام الراقصة منتصبًا قبل التمايل.. التحالف الأول يصف التحالف الثاني بالمغامرين والتحاف الثاني يرى المنتمين للتحالف الأول انتهازيين[6].

[1] نفسه، ص 322 – 324.
[2] نفسه، ص 315، 316.
[3] نفسه، ص 315- 317.
[4] بخور عدني، ص 318.
[5] ينظر بخور عدني، ص 303.
[6] نفسه، ص 326.

وما الرسائل التي كان ميشيل يكتبها للنساء إلا رمزًا للأحلام الضائعة المفقودة في عدن، فقد كان يكتب رسائل النساء لأزواجهن وأحبابهن الذين غادروا وتركوهن أسيرات الغرام والأشواق والأحلام الضائعة[1] .

سيمياء الثقافة

تعتبر سيماء الثقافة أحد فروع السيميائية، إذ تتناول رموز المجتمع الثقافية، وتقوم بتأويلها، فهي" دراسة الأنظمة الثقافية باعتبارها دوالًا وعلامات وأيقونات وإشارات رمزية لغوية وبصرية، بغية استكناه المعنى الثقافي الحقيقي داخل المجتمع، ورصد الدلالات الرمزية والانثروبولوجية والفلسفية والأخلاقية"[2]، وإذا كان الإنسان بطبيعته يعيش في عالم من العلامات الثقافية المختلفة، فإنه من الطبيعي أن تكثر العلامات السيميائية في الرواية لتؤدي دورها في ترابط البنى الثقافية واللغوية المختلفة، وقد ذكر الراوي عددًا كبيرًا من هذه العلامات مثل: الأزياء الشعبية، والأغاني، والرقصات المختلفة، والأمثال والعادات المختلفة لأبناء عدن، والبخور العدني، و نظام العلاقات بين أفراد المجتمع، وطقوس الاحتفالات وأزياءها الرسمية، وغيرها من العلامات.

الأزياء والرقصات الشعبية

تعد الملابس والأزياء الشعبية علامات سيميائية تعبر عن سمات لابسيها وبيئاتهم وعاداتهم وتقاليدهم في اللبس والحياة، وتختلف هذه الملابس في أشكالها وألوانها وعلاقتها بالطبقات وبالأماكن وبالمناسبات وأزياء النساء والرجال والعقائد والمناطق المختلفة، إذ أن" أصل كل علامة هو مبدأ التشكل، ولكن أصل التشكل هو توفر صورة حسية تدرك عبر إحدى قنوات الحواس الخمس من البصر والسمع واللمس والشم والذوق، فإذا ارتبطت هذه الصورة الحسية باصطلاح معين بين الأفراد المشتركين نشأت العلامة"[3]، فهذا أبو الفضل من لحج التي تتميز ملابسه بألوانها الفاتحة وخطوطها اللامعة والمحاكاة بأشكال فنية تتناغم مع طريقة لبسها، إذ يلبس عمامة ومئزر ملونين وقميص أبيض مخطط، و هذه المغنية شمعة اليهودية تلبس ثيابًا شفافة بألوانها القرمزية والبرتقالية، وقد وزعت عليه رسوم هندسية، شُكِّلَت بخيوط فضية[4]، وهذه قبوة بائعة الفل تظهر لابسة زيًا سماويًا شفافًا يكاد يظهر كل جسمها من تحته[5](وهو ما يسمى في عدن بالدُرْع، وعادة ما يكون شفافًا)، ، وتلبس ماما في يوم زيارة الولي العيدروس زيًا قرمزيًا بخطوط صفراء وزرقاء وكأنها في يوم عيد[6] .

ومن المعتقدات والطقوس التي تعبر عن الأفكار الاجتماعية والمعتقدات الشعبية السائدة في عدن: الرقصات التي تصاحب الأغاني والطقوس التي تمارس في الأعياد الدينية

---

[1] نفسه، ص 154 - 157، 177 – 179، 163 – 166.
[2] سيميوطيقا الثقافة: يوري لوتمان نموذجًا، جميل حمداوي، مجلة أمل - المغرب، مجلد 22، عدد 43، 2014م، ص 137.
[3] ما وراء اللغة بحث في الخلفيات المعرفية، عبد السلام المسدي، مؤسسة عبد الكريم عبد الله، تونس 1994، ص 53.
[4] ينظر بخور عدني، ص 16 – 20.
[5] نفسه، ص 53.
[6] نفسه، ص123.

والاحتفالات الشعبية " وهذه الممارسات المعبرة عن الفكر والعاطفة معًا، تبلغ فيها ذروة الانتشاء الانفعالي والحركي في فضاء مكاني مفتوح تنجزها فئات إثنية تتمازج فيها فئات متباينة: المغنون والمغنيات والراقصون والراقصات والسادة والعامة والأهل والغرباء والدراويش والغوازي... وهؤلاء يؤدون الطقوس والشعائر في مناسبات ممتدة، مثل الأفراح والأعياد والموالد"[1].

وتتنوع الرقصات التي يقوم بها مجموعة من الرجال والنساء، وهي علامات سيميائية غير لسانية" فهناك بعض الأنظمة التي تخترق حياتنا والتي لا تخضع لسلطان اللغة الطبيعية، منها مثلًا في نطاق الحياة الإنسانية الاجتماعية الإيماءات أو الصورة أو الموسيقى"[2]، وتدل هذه الرقصات على ثقافة المجتمع، منها عادة ما يصاحب الأغاني، وهي رقصات معروفة مثل: الشَّرْح والرَّزْح والمُرَكَّح، وفيها يرقص الرجال والنساء معًا على إيقاع طبل ومزمار وأطراف أيديهم متشابكة في صفين متقابلين يتقاربان ويتباعدان بحركات منسقة مصحوبة بزغاريد النساء، ومن الرقاصات: رقصة الشَّرْح يقوم بها رجال ونساء على إيقاع طبلة، ورقصة الرَّزْحَة، وهي رقصة رجال ونساء في صفين مع قارعي الطبول، ورقصة المُرَكَّح رقصة امرأتين على إيقاع طبلة وهما تقبضان على مصري رأسيهما[3].

ومنها رقصة الزَّار: وهي رقصة شعبية، بهدف طرد الجن التي تتلبس ببعض الأرواح: حيث يجلس رجل على كرسي حوله ثلاث نساء ورابعة واقفة أمامه تتلوى وتتوجع أمامه بشعر غير مُسَرَّح يضع يده اليمنى على رأسها المنكوش، ويتمتم بكلمات غير مسموعة فيما هي تتلوى، ويظل على هذه الحالة مع إيقاعات متناغمة، وينهض من كرسيه وتزداد الحركة مضيفًا يده الأخرى على رأسها لتبدوا في حالة أقل انفعالًا، ومن ثم يمرر يبه على كتفيها كأنه يطرد أو يسحب أشياء منها غير مرئية، وهو في حالة رعشة وانفعال مشابه لحالتها، في حين تمر امرأة خامسة بمبخرة حتى يغطي الدخان المكان، وبقيت النساء الثلاث يعزفن مع رعشات أجسادهن في حركات شبه راقصة تزداد هذه الحركات لتتحول إلى انفعال غير منتظم فيما يشبه الرعشة أو الشهقة اللامتناهية[4] .

ومن الطقوس التي تمارس في المناسبات الدينية: زيارة ضريح ومسجد الولي العيدروس في مدينة كريتر في عدن، وهو أحد الأولياء الصالحين، إذ يعتقد كثير من أبناء عدن أن العيدروس أنقذ عدن من الموت بكراماته فقد جاء هذا الولي إلى عدن منذ مئات السنين وكيف رفع صوته إلى السماء زمن المجاعة قائلًا" يا سماء صبي لبن عبدالله داخل عدن"[5]، لتمطر السماء لحظتها لبنًا أشبع الناس واحتفظوا بما تبقى في الجرار، ويزور الناس أيضًا مسجد ابن علوان على الرغم أن قبره في يفرس في ريف مدينة تعز[6]، في حين يزور اليهود مقبرة اليهود بمدينة المُعَلَّا بعدن سنويًا تذكرهم بضريح

---

[1] التناص السيميائي: القصة القصيرة الفلسطينية نموذجًا، خولة محمد الوادي، رسالة دكتوراه، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن، 2007م، ص177.

[2] أنظمة العلامات في اللغة والثقافة، مدخل إلى السميوطيقا، سيزا قاسم، نصر حامد أبو زيد، دار الياس العصرية، القاهرة – مصر، ص 37

[3] ينظر بخور عدني، ص 116.

[4] ينظر بخور عدني، ص60، 61.

[5] بخور عدني، ص 122 – 124.

[6] ينظر بخور عدني، ص 167.

الشَّبَزِي اليهودي في مدينة تعز، إذ يحب اليهود والمسلمون الشَّبَزِي ويقومون بزيارة قبره بل صار ملتقى للأحباب، ورمزًا للسلام، فقد التقى فيه غصن وهي فتاة مسلمة بيحيى وهو يهودي وأحبا بعض[1] .

ويزور الناس مسجد وضريح ولي الله العيدروس وتمتلئ الطريق بآلاف الناس يتقدمهم شيوخ بملابس وعمامات بيضاء يحملون بيرقًا من أعواد خشبية برايات خضراء تعلوها قطع حديدية على شكل هلال وبجوارهم فتيان يحملون مباخر.

البخوروالروائح:

البخور: مادة عطرية تطلق دخانًا عطرياً عند احتراقها يختلف استخدامه من مجتمع لأخر في المجالس والمعابد والأعراس والمناسبات، منه البخور العدني الذي اشتهر في اليمن نتيجة لجودة صناعته وللروائح الجميلة التي يطلقها، وقد ورد في الرواية في أكثر من موضع: إذ يصف طرق استعماله وتأثيره في النفس وفي الكلمات، إذ عادة ما يُؤتى بإناء من الفخار مزخرف يُسمَّى (المَبْخَرَة) توضع فيه جمرات وعلى الجمرات توضع قطعة البخور، ويصف الراوي هذه القطعة من البخور أثناء وصفه لماما وهي تعد البخور له" وأخذتْ قطعة بنيَّة يابسة من كيس حريري ووضعتها على الجمر"[2]، ومن ثم يقف من يريد أن يتبخَّر مباعدًا بين رجليه والمبخرة بينهما، ومن ثم يصعد دخان البخور العطري ليملأ المكان وملابس وجسم من يتبخر، ليشعر بعده بالانتعاش بل ليصبح شخصًا آخر بهذه الرائحة، يقول ميشيل" شعرت وأنا أخرج من عتبة الباب أنني صرت برائحة مختلفة، بالأصح صرت برائحة لأول مرة... شغلتني الرائحة طول الطريق إلى الكازينو، أحسست وأنا اتحدث إلى ماما أنني لم أعد ذلك الشخص الذي كنته قبل ساعة النوم، لقد صرت برائحة، بل شعرت أن كلماتي أيضًا صار لها رائحة، وأن البخور يقاسمني إياها، أو أنها صارت كلمات مُبَخَّرَة"[3]، وحين زارته شيرين أخت ماما في مرضه، ورائحة البخور التي تنبعث من ثنايا ملابسها وجسدها، فقد نشطت هذه الرائحة فيه كل خلايا جسمه وحفزتها للنهوض[4] .

ويتحدث الراوي عن محاكمة العطر والبخور[5]، وهي محاكمة لأحلام العدنيين وآمالهم، وحلمهم في السلام، فقد، تركوا حلم عدن في السلام وتقبل الجميع، وراحوا يتنازعون في حلم الملكة، وبخور (حلم الملكة)، إذ رفع سوامي قضية ضد حلاها في المحكمة يتهمها بسرقة العلامة التجارية(حلم الملكة)، إذ أطلقه هو على عطر بمناسبة قدوم الملكة إليزابيت إلى عدن، في حين أن حلاها أسمت بخورًا بـ(حلم الملكة) وليس عطرًا، غير أن القاضي لم يفرق بين البخور والعطر وقام بحبس حلاها ومحاميها بدعوى أنهما جاءا إلى المحكمة برائحة عطر، توقع فرانسيسكو ساخرًا أن يصدر القاضي

[1] ينظر بخور عدني، ص 211.
[2] بخور عدني، ص 12.
[3] نفسه، ص 12.
[4] ينظر بخور عدني، ص 331.
[5] نفسه، ص 300، 301.

حكمًا بإعدام العطر، وإذا تعطروا سيقوم بإعدام رائحته بإطلاق النار على الروائح في الأجساد، ويرفع كأسه ليكمل ما تبقى منه بيد مرتعشة كارتعاش المحاكمة قائلًا في صحة القاضي العادل.

البُرْقُع: هو غطاء يغطي الوجه عادة ما تستخدمه المرأة لتغطية وجهها، وقد ورد في الرواية علامة للتخفي، فعفورة تتخفى في البرقع، إذ تلبسه لتقابل حبيها بعيدًا عن عيون زوجها فهي ترغب أن تعيش كما تهوى هي، وقد ذهبت إلى السيسبان وهو عبارة عن حديقة وكازينو في مدينة التواهي بعدن لبيع المتعة، ذهبت هي إلى هناك لتبيع المتعة، وتقبل بالعيشة أي عيشة، إذ لم يعد لها مكان ولم يتقبلها أحد[1] ، فقد تغير وضع الناس في عدن، إذ يبيتون وهم في راحة واستقرار ليستيقظوا صباحًا على قتل ودماء، لقد أجبرت حاجات بعضهم إلى ممارسات ولبس أقنعة لايقتنعون بها لا كما فعلت عفورة وبياتها في السيسبان، وهو علامة سيميائية للنساء المحتاجات سواء للمال أو للذة عابرة، أو كما فعلت زوجة عبده حجازي التي تلبس قناع أمام زوجها في السلوك والاحترام والاحتشام، غير أن حاجتها الجسدية اضطرتها لممارسة سلوك آخر[2]

وإذا كان برقع عفورة مرئيًا، فإن برقع ميشيل غير مرئي إذ يعيش متخفيًا لا يعرف من هو ولا اسمه ولا بلده ولا إلى أين يتجه، والشيخ عبد الجبار يتخفى خلف الدين، فالبرقع يرتدى لإخفاء شيء ما وكل من أخفى في نفسه شيء فقد للبس برقعًا غير مرئي[3].

أما الملكة فقد اقترح الشبامي أن يُعمل لها حجابًا رأس عبارة عن برقع ومقرمة وشيذر[4] يقيها في زيارتها، في حين كان متصوف حضرموت يقصد بالحجاب كتاب رقية يقيها الأعين الحاسدة، يعمله لها ولي من أولياء الله الصالحين، في حين قال الشيخ عبد الرحيم ابن الشيخ عبد الجبار إن لبسها البرقع والعباءة والسروال ضرورة دينية خوفًا من الفتنة، ويعلق ميجي على الأمر: خاف أن يفتتنوا ويسلموا أمرهم لها بدلًا من الله[5]

الأمثال

وكان للمثل دور في تشكل شخصيات النص الروائي وأفعالها ، فقد أورد الراوي أمثالًا، وهي أمثال معروفة في المجتمع اليمني، أعاد إنتاجها ليضعها في سياقات جديدة" لتُمنح دلالات أخرى بفعل التوليد السيميائي الذي يجرد الأمثال من محدداتها الأصلية وتراكيبها الجاهزة وقوالبها النمطية، ويتيح لها ان تكتسب ملامح جديدة تستمدها من السياق النصي لوضعها في نسيج نصي يحوي تبادلات بين المكونات السردية"[6]، من ذلك "أنت لم تر من الجمل إلا أذنه"[7]، وهو مثل معروف وكناية عن أن المرء لم يرى كل هذا الشيء بل رأى مقدماته فقط كما رأى الرائي أذن

---

[1] ينظر بخور عدني، ص273.
[2] نفسه، ص 276.
[3] نفسه، ص 251.
[4] المَقْرَمَة: وهي غطاء خفيف تغطي به المرأة رأسها، والشَّيذَر: وهو غطاء طويل أسود مفتوح من الأمام يلبس فوق الملابس تغطي به المرأة رأسها وجسمها.
[5] نفسه، ص 252، 253.
[6] التناص السيميائي: القصة القصيرة الفلسطينية نموذجًا، خولة محمد الوادي ص 191.
[7] بخور عدني، ص125.

الجمل، وظن أنه رأى كل شيء، ومنه أيضًا"ندفع قراطيس والمساء طماطيس"[1]، القراطيس كناية عن النقود الورقية، والطماطيس هي: الطماطم، والمعنى أننا ندفع الأموال ولا نحصل على شي، وأيضًا: ياسين عليك يا عدن من قرحة المدافع، يغنيها الرجل العجوز على الشاطئ[2]، وهي دعوى وتعويذة لعدن من قرحة المدفع كناية عن توقع قدوم الحرب، وخوفًا على عدن من ذلك.

ويصف ميشيل ماما بقوله " أخضر على أخضر شبيه المسك والعنبر"[3] وهو مثل يمني متداول، والمقصود بالأخضر: اللون المائل للسُّمْرة وهو شبيه بلون المسك والعنبر اللون الأسود، وهو كناية عن الجمال، ويقصد به جمال ماما التي يميل لون بشرتها للسمارة، كناية عن جمالها.

نتائج البحث

ويمكننا في نهاية هذا البحث إيجاز النتائج على النحو الآتي:

1- جعل الروائي من عدن وطنا لمن لا وطن له، بل هي البديل عن فكرة الوطن، فعدن علامة للمحبة والسلام والتعايش والقبول بالآخر، كما أنها قبلة لكل مظلوم ومضطهد من العالم.

2- أظهرت الرواية أن مدينة عدن تحتوي الناس بمختلف دياناتهم وطوائفهم واتجاهاتهم.

3- وضع الروائي تعريفا للعدني بأنه كل من عاش في عدن أو مر بها، أو أحبها ولو من بعيد.

4- الأماكن المذكورة في الرواية من أحياء عدن شوارعها وأزقتها وميادينها العامة ومساجدها وكنائسها ومعابدها وأسماء محلاتها التجارية هي أماكن بأسمائها الحقيقية التي لا تزال في عدن وتحمل الأسماء نفسها.

5- الكثير من شخصيات الرواية شخصيات حقيقية واقعية عاشت في عدن.

6- ميشيل هي الشخصية الرئيسة في الرواية، وهي علامة سيميائية للإنسان التواق للبحث عن وطن بديل يتحقق فيه السلام والمحبة والتعايش بين مختلف الاتجاهات والأديان والأفكار.

7- ماما علامة سيميائية لعدن التي تحتوي الجميع، إذ تعد كل سكان عدن أقرباءها وعائلتها.

8- كثير من الشخصيات كشمعة اليهودية وحلاها وقبوة وعم شمعون علامات للسلام والمحبة والتعايش مع الآخرين. وبعض الشخصيات مثل: فرانسيسكو والمرأة الصامتة والعجوز على ساحل البحر ونظرات ماما وقلقها علامات لاستشراف خطر الحرب على عدن وما يمكن أن يحل بها.

9- أبرز الروائي ولع اليمنين بوجود مخلص يحقق أحلامهم من خلال حلم ماما بزيارة إليزابيت الثانية لعدن.

---

[1] نفسه، ص183.
[2] بخور عدني، ص 72.
[3] نفسه، ص34.

10- وظف الروائي حلم ماما بالطائر باعتباره علامة سيميائية لأبناء عدن وكيف يسعون لقتلها بأيديهم بإثارة العصبيات والفتن وإسالة الدماء.

11- أبرز الروائي المفارقة التي عاشتها عدن من كونها علامة للسلام وتقبل الآخر وتحولها إلى علامة للخراب والقتل والدماء، وعدم تقبل الآخر وطرده من عدن بحجة أنه ليس عدنيًا أو عربيًا أو مسلمًا.

12- وظف الروائي مجموعة من الأزياء والرقصات الشعبية المختلفة ورقصة الزَّار وطقوس حفلات زيارة الأولياء.

13- جعل الروائي البرقع قناعا يستعمله البعض لإخفاء ما يقوم به من أعمال غير مرغوبة اجتماعيا مثل عفورة تتبرقع لتفعل ما يحلو لها والشيخ عبد الجبار الذي يتخفى بالدين، وميشيل الذي يتخفى لكي لا يعرف من يكون ولا ماذا يريد؟، والملكة إليزابيت تتخفى في عدن وتختفي.

أولا: المصادر:

1- بخور عدني، علي المقري، دار الساقي، بيروت – لبنان، ط1، 2014م.

ثانيا: المراجع

2- أنظمة العلامات في اللغة والثقافة، مدخل إلى السميوطيقا، سيزا قاسم، نصر حامد أبو زيد، دار الياس العصرية، القاهرة – مصر.

3- بنية الشكل الروائي القضاء الزمن الشخصية، حسن بحراوي، المركز الثقافي العربي، بيروت – لبنان، ط 1، 1990.

4- بنية النص السردي (من وجهة النقد الأدبي)، حميد لحمداني، المركز الثقافي العربي، بيروت – لبنان، ط1، 1991.

5- البنية والدلالة في روايات إبراهيم نصر الله، مرشد أحمد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت – لبنان، ط1، 2005.

6- تحليل النص السردي تقنيات ومفاهيم، محمد بو عزة، دار الأمان: الرباط – منشورات الاختلاف الجزائر، ط1، 1431هـ 2010م.

7- التناص السيميائي: القصة القصيرة الفلسطينية نموذجًا، خولة محمد الوادي، رسالة دكتوراه، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن، 2007م.

8- جماليات السرد الزمكاني في قصة أصحاب الكهف: مقاربة سيميائية، أسامة عبد العزيز جاب الله، مجلة كلية دار العلوم، القاهرة- مصر، عدد 79، 2015م.

9- جماليات المكان في الرواية العربية، شاكر النابلسي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 1994م.

10- الرواية والمكان ياسين النصير، الموسوعة الصغير، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، العراق، 1995.

11- سيميائية الشخصية في روايات واسيني الأعرج " المخطوطة الشرقية، أصابع لوليتا، مملكة الفراشة أنموذجًا" أمينة أونيس، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة محمد خيضر – بسكرة، الجمهورية الجزائرية، 2018- 2019.

12- شخصيات النص السردي: البناء الثقافي، عبد الرحمن بو علي، علامات في النقد الأدبي، جدة المملكة العربية السعودية، النادي الثقافي الأدبي بجدة، ج 24، م 6، صفر 1418هـ - يونيو 1997.

13- سيكيولوجية الشخصيات الروائية، فيليب هامون ترجمة: سعيد بنكراد، تقديم عبد الفتاح كليطو، دار الحوار، اللاذقية سوريا، ط 1، 2013م.

14- سيميائية الشخصية في رواية إصرار لبوشعيب الساوري، سعيدة بوداب، رسالة ماجستير، كلية الآدب واللغات، جامعة العربي بن مهيدي- أم البواقي، الجمهورية الجزائرية، 2015م.
15- سيميوطيقا الثقافة: يوري لوتمان نموذجًا، جميل حمداوي، مجلة أمل - المغرب، مجلد 22، عدد 43، 2014م.
16- سيميولوجيا الشخصيات الروائية في رواية" الغول الذي يلتهم نفسه" لـ" زهرة رميج" مخطوطة رسالة ماجستير، جامعة العربي التبسي، تبسة، كلية الآداب واللغات 2018، 2019، خولة حركات- إيمان بوزيان.
17- ما وراء اللغة بحث في الخلفيات المعرفية، عبد السلام المسدي، مؤسسة عبد الكريم عبد الله، تونس 1994م.
18- المكان في الرواية الأردنية: مدينة عمان نموذجًا، إسلام حسن القضاة، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة اليرموك، إربد الأردن، 2007م.
19- مشكلة المكان الفني، يوري لوتمان، تقديم وترجمة: سيزا قاسم، مجلة: عيون المقالات، عدد8، أبريل 1987م.
20- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مصر، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط4، 1425هـ 2004م.
21- مقولات في السرد، تزفيطان تودروف، ضمن كتاب طرائق تحليل السرد، مجموعة من المؤلفين، ترجمة: الحسين سحبان وفؤاد صفا، منشورات اتحاد كتاب المغرب، ط1، 1992م.
22- الأنظمة السيميائية، دراسة في السرد العربي القديم، هيثم سرحان، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت – لبنان، ط1، 2008.